الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POOULAIRE

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

MNISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

UNIVERSITE 8 MAI 1945

GUELMA

Faculté des lettres et langues

Département de la langue et littérature arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب جزائري

رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع

لصدّيق حاج أحمد -مقاربة أنثروبولوجية-

مقدمة من قبل

- إنصاف حيمورة
- أية مجالدي

تاريخ المناقشة: 20/ 06/ 2023

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
العايش سعدوني	محاضر -أ-	جامعة 8 ماي قالمة 1945	رئيسا
موات نادية	محاضر -أ-	جامعة 8 ماي قالمة 1945	مشرفًا مقررًا
ليلى زغدودي	مساعد -أ-	جامعة 8 ماي قالمة 1945	ممتحنا

السنة الجامعية: 2022-2023

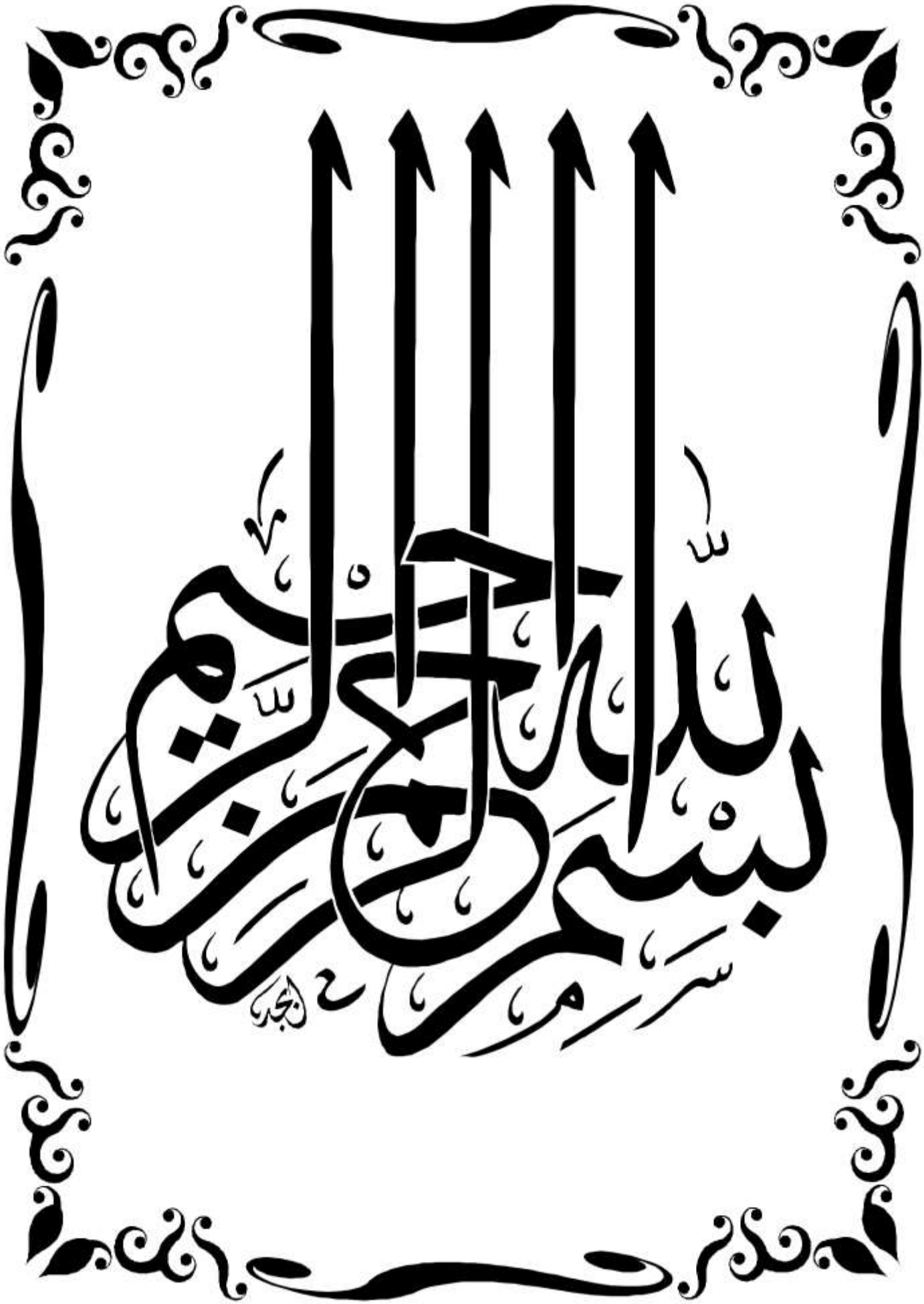
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على حبيبنا المصطفى سيد الأنبياء والمرسلين الذي أعطى جوامع الكلام ودانت له الفصاحة والبلاغة.

وعلى آله وصحبه وسلم ومن بعثهم بإحسان إلى يوم الدين.

أتقدم بجميل الشكر والتقدير للأستاذة الفاضلة "نادية موات" لتفضلها بالإشراف على هذه المذكرة.

كما لا ننسى شكر كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، الذين ساروا بنا في دروب العلم.

والشكر موصول للجنة المناقشة لكم جميعا شكري وامتناني.

أية مجالدي

إنصاف حيمورة

الإهداء

إلى أعز الناس وأقربهم إلى قلبي إلى "والدتي" العزيزة و"والدي" العزيز اللذين كانا عونا وسندا لي، وكان لدعائهما المبارك أعظم الأثر في تسيير سفينة البحث حتى ترسو على هذه الصورة .

إلى من ساندني ويسر لي الصعاب "ابن خالتي العزيز" الذي كان له أثر كبير في إعداد هذا البحث.

إلى كل عائلتي "إخوتي" و"أخواتي" وكل أهلي من قريب وبعيد.

إلى أساتذتي وأهل الفضل عليَّ الذين غمروني بالتقدير والنصيحة والتوجيه.

إلى زميلتي في البحث "مجالدي أية" التي كنَّا على اتفاق دائم رغم الصعاب، وهذا ما سهل علينا موضوع بحثنا.

إلى كل هؤلاء أهديهم هذا العمل المتواضع، سائلة المولى تعالى أن ينفعنا به.

إنصاف حيمورة.

الإهداء:

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه فأظهر بسماحته تواضع العلماء، وبرحابته سماحة العارفين.

إلى من أعطاني ولم يزل يعطيني بلا حدود "أبي العزيز أدامه الله ذخرا لي".

إلى شجرتي التي لا تذبل، إلى الظل الذي آوي إليه في كل حين "أمي الحبيبة حفظها الله".

إلى من قاسمني الرحم، والفراش والسقف "إخوتي."

إلى رفيق حياتي "زوجي".

إلى كل أفراد عائلتي ومن يحمل لقلبي من قريب أو بعيد.

إلى زميلتي في هذا العمل "انصاف" وإلى الذي ساندتنا ودعمتنا في إنجازه الأستاذة "نادية موات ".

وإلى كل الصديقات والزملاء فردا فردا دون استثناء .وأخيرا وليس آخرا أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من يتكبد عناء قراءته سواء لتقييمه أو لنقده أو لزيادة عمله أو لإشباع فضوله.

آية مجالدي.

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الرواية من أهم الفنون النثرية التي ظهرت في الساحة الأدبية وأضحت مرآة عاكسة للمجتمع ولأفراده وانتماءاته الفكرية والثقافية والدينية، فكان لها الفضل الأكبر في توضيح العلاقة القوية بين المبدع وواقعه، فهي (الرواية) حكاية بشر وجماعات وأشخاص تحكمهم علاقات اجتماعية وثقافية، وسياسية وغيرها، فتعكس لنا عاداتهم ومعتقداتهم وحتى تفكيرهم، وهذا ما جعل علماء الأنثروبولوجيا يهتمون بها، باعتبار أن الأنثروبولوجيا علم يهتم بدراسة الإنسان وتفكيره لتقوم (الأنثروبولوجيا) بدراسة كل ما في الرواية من أحداث وصراع اجتماعي وثقافي، لتستخلص منها كل ما يفيد التحليل الأنثروبولوجي في الوصول إلى غايته، وهذا ما جعل الرواية حقلاً من حقول الأنثروبولوجيا.

وقع اختيارنا على رواية "**كاماراد رفيق الحيف والضياع**" للروائي الجزائري **(حاج أحمد الصديق)** المعروف **(بالزيواني)**، التي تعد من الروايات الجزائرية التي طرحت موضوع الهجرة غير الشرعية وبرزت فيها الكثير من العناصر الأنثروبولوجية، وقد جاء بحثنا الموسوم برواية "**كاماراد رفيق الحيف والضياع–مقاربة أنثروبولوجية**" ليقدم قراءة أنثروبولوجية، يستجلي فيها هوية مجتمع الهجرة غير الشرعية بطقوسه، وأعرافه، وتقاليده، وهوية المجتمع الإفريقي بشكل عام.

وقد جاء هذا البحث ليجيب عن جملة من **التساؤلات** أبرزها:

- **ماهي تمظهرات الأنثروبولوجيا في رواية "كاماراد"؟**
- **هل استطاعت العناصر الأنثروبولوجية أن تحدد هوية مجتمع الهجرة غير الشرعية؟**
- **كيف تمظهرت هوية المجتمع الكامارادي أنثروبولوجيا؟**

ومن **الدراسات السابقة** التي واجهتنا أثناء رحلة بحثنا عن المعلومات التي تخدم موضوعنا نذكر:

- ✓ الرؤيا الأنثروبولوجية في مسرح ولد عبد الرحمان كاكي التي تناولت الأنثروبولوجيا في المسرح.
- ✓ الأنثروبولوجيا حقل علمي واحد وأربع مدارس الأنثروبولوجيا من تأليف: فريديريك بارث، أندريه غينغريتش، روبرت باركن، سيدل سيلفرمان والذي أعاننا في الجانب النظري.
- ✓ التجريب في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" مذكرة ماستر لسارة بوسكرة وصفية والي التي خاضت التجريب في الرواية.
- ✓ جماليات المكان في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" مذكرة ماستر لبن هاشم يمينة ويعيشاوي حنان التي قدمت دراسة حول المكان ولأن رواية كاماراد يحتل فيها المكان دورا بارزا مما ساعدنا في الجانب التطبيقي.
- ✓ المسكوت عنه في رواية "كاماراد" رفيق الحيف والضياع مذكرة لنيل شهادة الماستر لمحمد بيقه وعمر ابليه التي تناولت المحظور والظواهر الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الإفريقي وهذا ما أعاننا في الجانب التطبيقي خاصة في تجليات الأنثروبولوجيا الاجتماعية في الرواية.

وقد تقاطعت دراستنا مع هذه الدراسات في بعض الجوانب وانفردت عنها في جوانب حين بحثت في العناصر الأنثروبولوجية في الرواية.

- ➢ **أهداف البحث:**

ويتلخص بحثنا في مجموعة من الأهداف من بينها:

- ✓ إبراز قدرة المنهج الأنثروبولوجي على قراءة الرواية، إبراز هوية المجتمع من خلاله.
- ✓ التركيز على الرواية الجزائرية وإيفائها حقها من حيث الدراسة والتحليل.
- ✓ تحديد سمات ومميزات مجتمع ما ثقافيا من خلال ملامحه الأنثروبولوجية.

- ➢ **أسباب اختيار الموضوع:**

وقد اجتمعت أسباب كثيرة دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع يتعلق بعضها بما هو ذاتي، ويتعلق البعض الآخر بما هو موضوعي.

فأما **الأسباب الذاتية** فيمكن حصرها في:

- ✓ الشغف بالدراسات الأنثروبولوجية التي يعد البحث فيها مغامرة تتلاقى فيها المعارف والمرجعيات.
- ✓ الشغف بالرواية الجزائرية التي استطاعت أن تفرض نفسها على القارئ في الآونة الأخيرة.
- ✓ تعلقنا بالأدب الجزائري ورغبتنا في إثراء المكتبة ببحث يتناول أحد نصوصه.

وأما **الأسباب الموضوعية:**

- ✓ ما تتميز به الرواية من ملامح أنثروبولوجية تجعلها ظاهرة قابلة للدراسة.
- ✓ قدرة المقاربة الأنثروبولوجية على تحديد ملامح هوية الشعوب والمجتمعات.
- ✓ الحاجة إلى البحث في الهوية في المجتمعات المعاصرة لما لها من أهمية.

وقد قسمنا بحثنا إلى فصل نظري وفصل تطبيقي بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة.

أما **الفصل النظري:** فكان تمهيديا تضمن لمحة حول الأنثروبولوجيا من حيث المفهوم، والنشأة، وعلاقتها بالعلوم الأخرى.

وأما **الفصل التطبيقي:** فتناولنا فيه الظواهر الثقافية من عادات، وتقاليد متعلقة باللباس، والأكل، والرقص، والمعتقدات الشعبية، بالإضافة إلى ظواهر اجتماعية كنظام القرابة، والصداقة، بالإضافة إلى الآفات الاجتماعية والجرائم، كما تطرقنا إلى الظواهر السياسية والممارسات التي عانى منها المجتمع الإفريقي على مرأى ومسمع السلطة من سمسرة، رشوة، تهريب، وتغافل السلطات، وانتشار الطبقية بين المجتمعات، كما قمنا باستخراج أهم الظواهر الدينية التي تنوعت بين المعتقدات الدينية كالسحر، الشعوذة، التمائم، والحروز...، وبين

الشعائر الدينية التي يمارسها المجتمع الكامارادي، في الأخير تطرقنا إلى دراسة اللغة التي وظفها الكاتب في روايته.

و**الخاتمة:** كانت عبارة عن حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

وقد فرضت طبيعة الموضوع **المقاربة الأنثروبولوجية** التي تعرف بأنها: علم الإنسان الذي يسعى لدراسة مجرى التطور الإنساني من الناحيتين البيولوجية والثقافية، والقوانين والمبادئ التي تحكم هذا التطور، والارتباطات التي بين الجوانب الطبيعية المختلفة للإنسان، وبين عادات الشعوب والأنماط التي تميز مجتمعات معينة دون غيرها، وهو ما ساعدنا في دراسة عادات وتقاليد المجتمع الروائي، إلى جانب **المنهج الوصفي**.

وقد اعتمدنا في مقاربة هذه المدونة على مجموعة من **المصادر والمراجع** نذكر أبرزها:

- ✓ مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) لعيسى الشماس.
- ✓ محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية لخواجة عبد العزيز.
- ✓ قصة الأنثروبولوجيا لحسين فهيم.
- ✓ مدخل عام في الأنثروبولوجيا لمصطفى تيلوين.
- ✓ علم الاجتماع لإسماعيل محمد الزيود.
- ✓ قاموس الأنثروبولوجيا لشاكر مصطفى سليم.

ومثل أي بحث أكاديمي واجهتنا عدة **صعوبات** أهمها:

- ✓ اتخاذ الإدارة قرار تغيير المشرف الأكاديمي مما ألزم علينا بعض التغييرات في عنوان دراستنا وضبط العنوان النهائي للبحث في وقت قصير ما جعلنا مضطربين قليلا.
- ✓ كثرة المعلومات واتساعها مما صعب علينا الإلمام بها وغربلة ما يخدم موضوعنا.

وفي الأخير نشكر الله عز وجل على فضله العظيم، كما نخص بالشكر الخالص للأستاذة الفاضلة **(نادية موات)** على التوجيهات والإرشادات السديدة لإنجاز هذا العمل وكل من قدم إلينا يد العون.

الفصل الأول: إيضاحات عامة حول الأنثروبولوجيا.

أولا: مفهوم الأنثروبولوجيا.

ثانيا: نشأة الأنثروبولوجيا.

1) الأنثروبولوجيا في العصر القديم.
2) الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى.
3) عصر النهضة الأوروبية.

ثالثا: علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى.

رابعا: علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب.

لطالما كان الإنسان موضعا للتأمل والدراسة من قبل العلوم الطبيعية والإنسانية ومن بين العلوم التي اهتمت بالإنسان نذكر " **الأنثروبولوجيا anthro plogy**" التي تعددت الدراسات والاتجاهات حولها في الآونة الأخيرة، بوصفها علمًا حديث العهد، على الرغم من مرور ما يقرب من القرن وربع القرن على نشأة هذا العلم الذي يدرس الإنسان وأسلافه الأوائل وأصوله منذ القدم وسعت إلى دراسته بوصفه كائنا اجتماعيا في مجتمع له ميزاته الخاصة به.

أولا: مفهوم الأنثروبولوجيا:

بالفرنسية "**anthropologie**" لفظة مشتقة من الكلمة الإغريقية "**anthropos**" ومعناها إنسان ولوغوس من "**logos**" ومعناها علم أو دراسة، " **وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان" أي العلم الذي يدرس الإنسان**"[1].

لذلك فعلم الأنثروبولوجيا يرتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان، فهو يدرس تطور تركيبته، أعراقه، عاداته، نظمه، وأشكال تفكيره...

وقد تعددت وتشبعت التعريفات التي تخص هذا المصطلح نذكر من أهمها تعريف **(إدوارد تايلور Edword Brunett Tylor) (1833-1917)** الذي يقول في تعريفه للأنثروبولوجيا: "**هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان، إذ يحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية**"[2]، فهي تهتم بالمظاهر الثقافية والاجتماعية للإنسان، وتبحث في العلاقة القائمة بين ثقافته والمجتمع الذي يعيش فيه وأيهما أشد تأثيرا في حياة الفرد هل الثقافة أم المجتمع؟

---

[1] عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، (د.ط)، 2004، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص9.

أما الشهيرة **(مرجريت ميد)** (1901-1978) فتصف عمل الأنثروبولوجي بقولها: **"نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كإنسان مترابطة ومتغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا"**[1]، فهي قدمت مفهوما واسعا للأنثروبولوجيا، وصورة عن اهتمامها بالإنسان في كل جوانب حياته، فهي تهتم بالجانب البيولوجي الشكلي مثل الجسد واختلاف البنية الجسدية من شعب إلى آخر ومن جنس إلى آخر وتهتم بلون البشرة وشكل الشعر ولونه.

أما عن الأنساق الثقافية فهي تتمثل في اختلاف العادات والتقاليد من مجتمع لأخر.

أما الأنساق الاجتماعية فتدرس كل ما يتعلق بالسلوك الاجتماعي والذي يشكل نظما، اجتماعية كالقرابة والمعاصرة والنرجسية والسادية.

أما في قولها عبر أزمان مختلفة وسائر الأماكن أي أنها تقوم بدراسة الفروقات بين الإنسان البدائي والإنسان المعاصر، فهي تهتم بدراسة الفكر البدائي من خلال الأساطير والحكايات الخرافية مثلا، وتدرس التعصب القبلي والتشدد للرأي والنزعة الذكورية.

وفي الأخير يمكننا القول إن الأنثروبولوجيا هي دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة الاجتماعية والثقافية والدينية، فهي علم يجمع بين ميادين مختلفة عن بعضها البعض **"فالأنثروبولوجيا تتناول موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلق بالإنسان حتى أنه يصعب على أي أنثروبولوجي أن يصول ويجول في كل هذه المجالات"**[2].

---

[1] حسين فهيم، **قصة الأنتروبولوجيا، سلسلة كتب ثقافية شهيرة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1978، ص 13-14.

[2] حسين عبد المجيد، أحمد رشوان، **الأنتروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، المكتب الجامعي الحديث، الأزراطية، الإسكندرية، (د.ط)، 2003، ص5.

ثانيا: نشأة الأنثروبولوجيا:

إذا كانت النشأة العلمية للأنثروبولوجيا حديثة فإن جذورها قديمة إن لم نقل إنها وجدت مع بداية وجود الإنسان الذي كان يفكر في نفسه وفي غيره، أما إذا انطلقنا من كون الأنثروبولوجيا هي التعرف على الشعوب الأخرى والاحتكاك بها والكتابة عن عاداتها، فيمكن تتبع هذا المعنى منذ القديم عبر المراحل التالية:

1) الأنثروبولوجيا في العصر القديم:

اجتمع معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أن أقدم رحلة خاضها الإنسان ودونها تعود إلى " **الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام (1493 ق.م) إلى بلاد بونت (الصومال حاليا) بهدف التبادل التجاري، تعد من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب**"[1].

كانت هذه الرحلة بهدف التجارة على متن خمس مراكب بهدف تسويق بضاعاتهم فاحتكوا بأقزام إفريقيا فحاولوا تأكيد العلاقة بينهم ودونوا كل ذلك في نقوش بمعبد الدير البحري، هذا ما أدى إلى امتزاج الحضارات والتعرف على الفروق في عاداتهم وتقاليدهم ولباسهم فجسدوا ذلك في النقوش الموجودة في المعابد.

1.1. عند الإغريق (اليونانيين القدماء):

يعد المؤرخ الاغريقي (اليوناني) **(هيرو دوتش Herodotus)** من أشهر رحالة هذا العصر، والذي سجل فيه عددا كبيرا من الرحلات والأسفار إلى مناطق غير أوروبا، حيث قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية، فتناول بالتفصيل

[1] عيسى الشماس، **مخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)**، مرجع سابق، ص13.

تقاليدهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية، إضافة إلى أنه قدم وصفا، دقيقا لمصر وأحوالها وشعبها، وهو قائل العبارة الشهيرة: " **مصر هبة النيل**"[1].

حيث قارن بين الشعوب الأوروبية ومصر مثلا فلاحظ أن كهنة المعابد يطلقون شعر رؤوسهم على عكس الكهنة المصريين الذين يحلقونها، كما قارن بينهم وبين مختلف الشعوب الذين يحلقون رأسهم خلال فترة إصابة أحد الأقارب على عكس المصريين الذين يطلقون في فترة الحداد شعور رؤوسهم ولحاهم.

نجده كذلك تطرق إلى المقارنة بين بعض العادات الإغريقية والليبية أو كما يطلق عليهم بالـ **(البربر القدامى)** خاصة النساء، وكيف نقلوا الإغريقيون لباسهم عن النساء الليبيات خاصة المصنوعة من جلد الماعز، وعن كيف تعرف الإغريق على طرق صنع العربات وقيادتها من الليبين.

حيث يقول في ذلك " **يبدو أن ثوب أثينا ودرعها وتماثيلها نقلها الإغريق عن النساء الليبيات غير أن لباس الليبيات جلدي وأن عربات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين بل هي مصنوعة من جلد الحيوان [...] ومن الليبيين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة**"[2].

نجد كذلك في هذا العصر أرسطو (384-322 ق.م) الذي يعتبر من أوائل الذين وضعوا أولويات الفكر التطوري للكائنات الحية، فقد اهتم بالفروق الظاهرة بين الناس بصفة عامة والفروق بين الإنسان والحيوان فوجد أن الإنسان تحلى بنعمة العقل والتفكير والتأمل على عكس الحيوان، " **... كما ينسب إليه أيضا توجيه الفكر نحو وصف نشأة الحكومات وتحليل**

---

[1] عيسى الشماس، **مخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)**، ص20.

[2] عبد العزيز خواجة بن محمد، **محاضرات في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، مطبوعة بيداغوجية موجهة إلى طلبة العلوم الاجتماعية والإنسانية، غرداية-الجزائر، (د.ط)، 2014-2015، ص15.

أشكالها وأفضلها، الأمر الذي يعتبر مساهمة مبدئية وهامة في دراسة النظم الاجتماعية والإنسانية"[1].

2.1. عند الرومان:

امتدت الحضارة الرومانية حوالي ستة قرون، " **حيث تابع خلالها الرومان ما طرحه اليونان من مسائل وأفكار حول بناء المجتمعات الإنسانية وطبيعتها وتفسير التباين والاختلاف فيما بينها [...] ووجهوا دراستهم نحو الواقع الملموس المحسوس**"[2].

فقد اهتم الرومانيون بالجانب المادي العسكري والحربي لذلك لم يتم تسجيلها وتدوينها على شكل كتب وأفكار نظرية، يستثنى من ذلك أشعار **(كارلوس لوكرتيوس)** التي تضمنت ستة أبواب رئيسية، "**حيث تناول في البيت السادس تطور الإنسان وفكرة العقد الاجتماعي ونظام الملكية ونشأة اللغة ومعالجة موضوع العادات والفنون والأزياء** "[3].

فقد اهتم بالإنسان من حيث اللغة والعادات والفنون والأزياء وكل هذه المضامين يمكن أن نطلق عليها الدراسة الأنثروبولوجية.

" **وعلى الرغم من أن الرومان اهتموا بالواقع، من حيث ربط السلالات البشرية بإمكانية التقدم الاجتماعي والحركة الحضارية، فقد وجدوا في أنفسهم امتيازا وأفضلية على الشعوب الأخرى**"[4].

---

[1] عيسى الشماس، **مخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)**، ص21.

[2] حسين فهيم، **قصة الأنتروبولوجيا**، ص47.

[3] المرجع نفسه، ص48.

[4] عيسى الشماس، **مخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)**، المرجع السابق، ص22.

3.1. عند الصينيين القدماء:

كان الصينيون القدماء يشعرون بالأمن والهدوء داخل بلدهم لذا امتنعوا من الاحتكاك بالحضارات الأخرى، وكانوا مكتفين ذاتيا من الناحية المعاشية حتى أن تجاربهم الخارجية انحصرت فقط في تبادل السلع، دون أن تكون لها تأثيرات ثقافية، ومع ذلك لم يخل تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعة البربرية والتي كانت تتسم بالازدراء والاحتقار، " **فأقاموا سور الصين العظيم حتى لا يدنس الأخرون ترابهم**"[1]، ومنه نجد أن الدراسات الأنثروبولوجية شبه منعدمة عند الصينيين القدماء.

2) الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى:

يجمع معظم المؤرخين أن هذه العصور، تمتد من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر ميلادي، أطلق عليها بالعصور الوسطى لارتباطها بتدهور الحضارة الأوروبية وتراجع الجانب الفكري بشكل كبير في حين كانت بداية لازدهار الحضارة الإسلامية وتقدمها وتطورها.

1.2. العصور الوسطى في أوروبا:

تدهور التفكير في هذه العصور الوسطى (المظلمة) ويرجع هذا التدهور إلى سيطرت الكنيسة في هذه الفترة، كما سيطرت عليها الأفكار الدينية وحوكم كل من يخالفها بالنفي أو القتل.

لكن على الرغم من كل هذا نجد بعض الدراسات والكتابات عن بعض الشعوب ومن بينها نذكر: " **الموسوعة التي كتبها الأسقف (اسيدور Isidore) (560-636م) في القرن السابع: وصف فيها عادات وتقاليد عدة شعوب بطريقة جد عفوية وإن كانت متحيزة وسطحية**

---

[1] محمد موسى، **الحضارة دراسة في أصول عوامل قيامها وتدهورها**، عالم المعرفة، كانون الثاني، الكويت، 1978، ص15.

ليصل إلى نتيجة تتمثل في أن الانحطاط لا يقاس بمدى ابتعاد الشعوب عن المركز الذي يقع في أوروبا فكلما ابتعدت هذه الشعوب عنها كانت أكثر تدهورا وتخلفا"[1].

" الموسوعة التي كتبها الفرنسي (باتول ماكوسل Bathole Macus) لقد عرفت انتشارا شعبيا ورواجا كبيرا لكن محتواها لا يختلف كثيرا عن سابقتيها في الاعتماد على التصورات الخيالية"[2].

فقد كانت تعتمد المحاولات في هذه الفترة على التصور دون المعايشة لذلك يمكن القول إن المحاولات كانت بسيطة.

ولقد ظهرت عدة محاولات للكتابة عن بعض الشعوب في هذه المرحلة اتسمت بالوصف التخيلي غالبا، بعيدا عن المشاهدة المباشرة، مثال ذلك ما قام به الأسقف **(اسيدور Isidore) " حيث أعد في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية، تتسم بالسطحية والتميز"**[3]

2.2. العصور الوسطى عند العرب:

تبدأ هذه الفترة من القرن الرابع إلى حدود القرن 14 م تقريبا، بداية من ظهور الإسلام إلى ازدهار الحضارة العربية الإسلامية حيث بدأ الإسلام في الانتشار خاصة بعد فتح مكة وبدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية بالازدهار وسنستعرض أهم الأعمال ذات الصلة بالأنثروبولوجيا فيما يلي:[4]

---

[1] عبد العزيز خواجة بن محمد، **محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، ص18.

[2] المرجع نفسه، ص21.

[3] عيسى الشماس، **مخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**، ص24.

[4] عبد العزيز خواجة بن محمد، **محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، ص 21-22.

- ✓ معجم البلدان **(لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي)** (626-574).
- ✓ **(أبو الريحان محمد بن احمد البيروني)** (362-440هـ) في وصف العمران والأقاليم في كتابه " **تحرير ما للهند من مقولة في العقل أومرذولة**" والذي صور فيه المجتمع الهندي بكل أبعاده خاصة ما يتعلق بديانته وعاداته وتقاليده ومختلف الأنماط الثقافية والنظم الاجتماعية السائدة فيه متوصلا إلى أن الدين أو المعتقدات تشكل أكبر معيق لتطور هذا المجتمع، وأكبر موجه لسلوكات الأفراد والجماعات فيه وهو عمل يعكس حالة من التقدم في الفهم الأنتروبولوجي، وممارسة المنهج الإثنوغرافي إلى درجة بعيدة[1].
- ✓ كما كانت لرحلات ابن بطوطة وكتاباته خصائص ذات طابع أنثروبولوجي، حيث اهتم بالشعوب وحياتهم اليومية وسلوكياتهم وقيمهم وعاداتهم، فمثلا ما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان فقد وصفهم بالهدوء والأمن والسكينة والالتزام بالأمانة فقال: " فمن أفعالهم قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه، ومنها شمول إلا من في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت في بلادهم من البيضان (البيض الأجانب) ولو كان القناطير المقنطرة، وإنما يتركونه بيد ثقة من البيضان، حتى يأخذ مستحقه"[2].

كما نجده يقول في حكاية الرقص على النار: " **كنت مرة [...] ووصل إلى هناك جماعة من الفقراء في أعناقهم أطواق الحديد وفي أيديهم وكبيرهم رجل أسود حالك** اللون وهم من الطائفة الحيدرية (طائفة صوفية تُنسب إلى المؤسس قطب الدين حيدر) **وطلب مني كبيرهم آتيه بالحطب ليوقده عند رفضهم فكلفت إلى تلك الجهة وهو عزيز المعروف بالخمار أن يأتي بالحطب فوجه منه عشرة أجمال فأضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء**

---

[1] حسين فهيم، **قصة الأنتروبولوجيا**، ص43.

[2] ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي)، **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تر: عبد الوهاب التازي، الرباط-المملكة المغربية، 1997، مج2، ص672.

الآخرة حتى صارت جمرًا وأخذوا في السماع ثم دخلوا في تلك النار فمازالوا يتمرغون في ويرقصون فيها حتى طفت تلك النار"[1].

وصف ابن بطوطة هذه الجماعة التي هي فقيرة، كذلك قدم وصفا لكبيرهم الرجل الأسود، كما تحدث عن عاداتهم وهي الرقص على النار، كما أنه لم يهمل الجانب الديني فصرح بأنها طائفة صوفية تُنسب إلى قطب الدين حيدر وكلها تدخل ضمن الأنثروبولوجيا التي تهتم بعادات الشعوب وتقاليدهم ودياناتهم وثقافاتهم.

مقدمة ابن خلدون التي تعتبر " **عملا أصيلا في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال إفريقيا، ولا سيما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية**"[2]، وهي جزء من كتابه " **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"

وقد قسم ابن خلدون مقدمته إلى ستة فصول[3]:

الفصل الأول: في قسط العمران من الأرض وما فيها من الأقاليم وتأثير الهواء في ألوان البشر وأخلاقهم واختلاف أحوال من الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم.

الفصل الثاني: في العمران البدوي والأمم الوحشية وما يعرف في ذلك من المباحث في طبيعة البداوة والحضارة والفرق بينهما من حيث الأنساب والعصبية والحسب والسياسة.

---

[1] الطنجي ابن بطوطة، **تحفة الأنظار في غرائب الأبصار وعجائب الأسفار**، ص10.

[2] عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)**، ص26.

[3] ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد الخضرمي الإشبيلي)، **رحلة ابن خلدون**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 2004، ص5.

الفصل الثالث: في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وأسباب السيادة وتشييد الدول وكيف تحفظ الأمارة وشروط السلطة والخلافة وطبائع الملك ومعنى البيعة وولاية العهد.

الفصل الرابع: في البلدان والأمصار وسائر العمران والمدن والهياكل ونسبتها إلى الدول وما يجب مراعاته في وصفها من حيث البر والبحر.

الفصل الخامس: في المعاش ووجوه من الكسب والصناعات [...] كالزراعة والعمارة والنسيج والتوليد والطب والوراقة والغناء وغيره.

الفصل السادس: في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه ونسبة التعليم إلى الحضارة والكلام في كل علم على حدى وتاريخه وشروطه.

كما نجد اهتمام " ابن خلدون بمجتمعات شمال إفريقيا فهو أول من اهتم بعلاقة البيئة بالظواهر الاجتماعية وأمزجة البشر الجسدية والنفسية، وأثر البيئة على الجسم من لون وقوة وضعف، كما تطرق إلى العمران والثقافة والعلوم المتنوعة من فقه وتاريخ وعلم النفس وعلم النجوم والعلوم الطبيعية والطبية وهي كلها مضامين أنثروبولوجية ساهمت في توفير مادة أنثروبولوجية ثرية حول الأنماط المعيشية والثقافية والدينية التي تدخل ضمن الدراسات الأنثروبولوجية.

3) عصر النهضة الأوروبية

اتفق المؤرخون على أن عصر النهضة في أوروبا أو ما يطلق عليه بعصر الاكتشاف، بدأ في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي بانتقال العلوم إلى أوروبا وانتقائها سواء الإغريقية أو العربية منها، سعت فيه الدول الأوروبية إلى التوسع على الصعيد الاقتصادي والسياسي من خلال الشعوب الأخرى "**وشرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم**

والمعارف الإغريقية والعربية"[1]، ولعل أهم عامل ساعد في ظهور الأنثروبولوجيا هو " بروز الفكر العلمي القائم على التجريب مع **(فرانسيس بيكو F.Becoh)** (1561-1626)، **(روني ديكارت R.Decarte)** (1596-1650)، **(إسحاق نيوتن I.Neuto)** (1642-1727) وغيرهم، الذي غير من نظر المفكرين للإنسان من التصورات الدينية إلى اعتباره ظاهرة طبيعية قابلة للدراسة والبحث العلمي والخضوع للمنهج التجريبي وبدلية البحث في القوانين التي تحكم تطورها فوفر ذلك منطلقا للفكر الاجتماعي والدراسات النظرية الأنثروبولوجية"[2].

أدى ظهور هذه المناهج العلمية إلى تجريد الإنسان من طابع القداسة واعتبرته ظاهرة طبيعية قابلة للتجريب.

ومن أهم الأعمال التي ساهمت في التراكم المعرفي للأنثروبولوجيا سنذكر مايلي:[3]

- ✓ رحلة **(كريستوف كولومبس Christoph Colombus)** إلى القارة الأمريكية ما بين (1492-1502) التي دونها في مذكراته ووصف عاداتهم وتقاليدهم وأساليب عيشهم عن طريق المعايشة المباشرة، فقد وصف شعب " جزر الكاريبي" وكيف أنهم يعيشون عراة عدا بعض النساء اللائي يغطين عورتهم بورق الشجر وبالرغم من هذا فهم مجتمع جد خجول.
- ✓ إكمال **(جورج هيجل G.Hegel)** (1770- 1831) و**(جوهان فختة)** (1762-1814) ممن يفتقدون في صفاء ونقاء الشعب الألماني على شعوب العالم.
- ✓ **(جوهان هيرد J.Herder)** (1733-1803) الذي أكد على تمايز السلالات وفقا لتركيبتها البشرية وتأثيرها بمظاهر المدينة ورؤيتها لمقاومات الحضارة.

---

(1) مصطفى تيلوين، **مدخل عام في الأنتروبولوجيا**، دار الفارابي ومنشورات الاختلاف، ط1، 2011، ص28.

(2) عبد العزيز بن محمد خواجة، **محاضرات في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، ص 26-27.

(3) المرجع نفسه، ص 27-28.

كانت هذه الأعمال هي التي مهدت للأنثروبولوجيا في شكلها الحالي وعلى الرغم من النهضة التي عرفتها أوروبا في القرن 18 و19 والتي مست جميع القطاعات إلا " **أن الحرب العالمية الأولى ونواتجها جعلت المفكرين ينقسمون إلى شقين: شق متشائم لما وصلت إليه البشرية يرى مستقبلها مخفيا وغامضا [...] وشق أخر متفائل يرى مستقبل الإنسانية أكثر إشراقا**"[1]، وقد نشأت الأنتروبولوجيا في ظل هذه التحولات والتي مرت بمرحلتين:

أ) مرحلة التأسيس النظري:

"**خلال هذه الفترة ظهرت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية الدقيقة والتي أسست لهذا العلم لكن أصحابها لم يجروا الأبحاث الميدانية بأنفسهم وإنما اعتمدوا على الرحالة والمستكشفين**"[2]، اعتمد الأنثربولوجيون في هذه المرحلة التمهيدية على الرحلات وقاموا بدراستها بالتحليل والمقارنة لكن أعمالهم كانت نظرية بعيدا عن المعايشة والتطبيق.

ومن الأعمال التي ظهرت في هذه المرحلة نذكر:

1) **(إدوارت برونت تايلور)** في كتابه " **الحضارة البدائية**".
2) **(جوهان مالكينا)** في كتابه " **الزواج البدائي**" (1865).
3) **(جيمس فريرز الإسكتلاندي)** في كتابه الشهير " **الغصن الذهبي**"

ب)مرحلة الأعمال الميدانية:

استقل فرع الأنتروبولوجيا عن غيره من العلوم والمقاربات في هذه المرحلة، وبدأ اهتمام الأنثربولوجيون بالجانب الميداني من خلال المعايشة والملاحظة للظواهر المختلفة، حيث ظهرت العديد من الأسماء التي تخصصت في مجال الأنتروبولوجيا وفروعها، نذكر منها

---

[1] عبد العزيز بن محمد خواجة، **محاضرات في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، ص33.

[2] المرجع نفسه، ص 33-34.

محاولات عالم الاجتماع الفرنسي **(ميشيل دي مونتاني)** الذي أجرى عدة من المقابلات مع مجموعات من السكان الأصليين في أمريكا، وبعد جمع معلومات عن عاداتهم وتقاليدهم السائدة خرج بالمقولة التالية: " **إنه لكي يفهم العالم فهما جيدًا، لابد من دراسة التنوع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب التنوع**"[1].

بمعنى أنه لفهم العالم فهما جيدا لا بد من دراسة التنوع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنوع وبذلك يكون قد طرح فكرة النسبية الأخلاقية.

هذه هي إذن مراحل نشأة الأنثروبولوجيا التي ظهرت كعلم مستقل بذاته خلال القرن العشرين دون نفي الدراسات والمحاولات السابقة لهذا القرن فهي التي مهدت لظهور هذه الأخيرة سواء كانت إغريقية أو عربية.

ثالثا: علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

تعتبر الأنثروبولوجيا العامة علما اجتماعيا تربطه علاقة وثيقة بالعلوم الاجتماعية الأخرى، وهي التي تمثل حلقة الوصل بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، وبتطور العلوم في مجتمعنا المعاصر يتوضح اعتماد الفروع العلمية المختلفة على بعضها، وهذا بسبب تشابك الظواهر الاجتماعية والطبيعية، والثقافية، وتعقد الحياة وتعدد العوامل المؤثرة في الظاهرة موضوع الدراسة، حيث نجد أنه هناك علاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة وغيرها...

فما هي علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى؟

---

[1] حسين فهيم، **قصة الأنثربولوجيا**، ص1.

1) علاقة الأنثربولوجيا بالبيولوجيا:

" تتضمن "البيولوجيا" كل العلوم المتخصصة لدراسة الكائنات الحية، التي يشار إليها أحيانا بـ "علوم الحياة"، وهو مصطلح مفيد لأنه يميز البيولوجيا عن العلوم الفزيائية التي تضع عالم الجمادات في بؤرة اهتمامها"[1].

ومنه فإن علم البيولوجيا يعنى بدراسة الحياة والكائنات الحية، بما في ذلك هياكلها ووظائفها ونموها وتطورها وتوزيعها وتصنيفها، وكل ما يتعلق بها دراسة دقيقة، على عكس العلوم الفزيائية التي تدرس الطاقة والكتلة حيث تتخصص في عالم الجمادات.

" ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية ولا سيما علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي، وتدخل في ذلك نظرية التطور التي تقول بأن أجسام أجناس الكائنات الحية وأنواعها، ووظائف أعضائها تتغير باستمرار مادامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالا جديدة قد تكون أرقى من الأجيال السابقة، كما هو الحال عند الإنسان.

كما تستند هذه النظرية إلى أن الإنسان بدأ كائنا حيا بخلية واحدة، تكاثرت في إطار بنيته العامة إلى أن انتهى إلى ما هو عليه الآن من التطور العقلي والنفسي والاجتماعي وهذا ما دلت عليه بقايا عظام الكائنات الحية المكتشفة في الحفريات الأثرية.

فالأنثروبولوجيا من الناحية النظرية شديدة القرب من البيولوجيا فكلاهما يدرس عملية إعادة إنتاج الحياة، وكلاهما مبني على نموذج نظري للتنوع وكل في تخصصه"[2].

---

[1] إرنست ماير، **هذا هو علم البيولوجيا**، ترجمة: عفيفي محمود عفيفي، مطابع السياسة، الكويت، 2002، د.ط، ص41.

[2] عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)**، ص36.

"ويحظى تحليل التنوع في العلمين بدور حيوي: التنوع الجيني في علم "البيولوجيا" والتنوع الاجتماعي في الأنثربولوجيا".

فالتنوع أمر أساسي لما تسميه بالبيووجيا **(الفاعلية البيولوجية)** وهي القدرة على مواصلة الحياة، وإخلاف الذرية، والأمر ذاته نجده في الأنتروبولوجيا فيما يطلق عليه إشباع الحاجات الأساسية"[1].

وعليه يمكن القول إن علم البيولوجيا والأنثربولوجيا كلاهما علم يقوم بدراسة الإنسان من حيث نشأته وطبيعة حياته وثقافته لذلك نجد تداخل كبير بين العلمين.

وعليه فإن البيولوجيا تقوم على دراسة الكائنات الحية كما قلنا سابقا من خلال دراسة تطورها ومراحل نشأتها باعتبارها كائنات تتكاثر وتنتج أجيالا جديدة، وهذا ما يربطها بالأنثربولوجيا، لأنها تهتم بدراسة الإنسان من ناحية تطوره وتفكيره ونشأته.

2) علاقة الأنثربولوجيا بعلم النفس:

" لابد من المعرفة والتطرق لعلم النفس فهو حسب **(ديلايDelay)** و **(بشو Pichot)** " **إن علم النفس الإنساني يدرس الإنسان من خلال سلوكاته وتصرفاته وحالاته وعيه، ويبحث في وضع قوانين لهذه الظواهر، وتفسير أصلها ومصدرها من أجل التغيير فيها"**[2].

أي أن علم النفس يعمل على دراسة الإنسان بدقة من خلال تعابيره ورموزه التي يقوم بها والتي تعتبر لغة بالنسبة له فهي مفتاح معرفة ذلك الشخص، ولذلك فهو يعمل من خلالها

---

[1] عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)**، ص 37-36.

[2] Delayet pichot, **Abrégé de psychologie**, Masson, 1980, p10. نقلا عن: مصطفى تيلون، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، دار الفرابي، بيروت-لبنان، ط1، 2011، ص49.

على وضع وسن قوانين للتحكم في مختلف السلوكات والظواهر التي تظهر على الإنسان من أجل تغيير، وحتى معالجتها في بعض الأحيان، وهذا يتعلق بالإنسان المريض والحامل لعقد نفسية ومكبوتات قديمة فأصبحت تظهر فيما بعد بطرق وأوجه كثيرة.

"إن البحث في استعمال المعطيات الأنثربولوجية في مجال التحليل النفسي قد بدأ مع فرويد بين عام (1912-1913)، إذ أكد على أن الميول أثبت أن الثقافة-ثقافة المجتمع-لها دور في تهذيب هذه الغرائز وضبطها"[1].

" ووازى كذلك بين الأخلاق والمكبوتات، وبين الطقوس والعصابية بمعنى: أن هذه المفاهيم تتوازى من حيث الشدة، مثال على الطقوس: إن الفراعنة القدامى كانوا يقدمونّ ّأجمل الفتيات كقربان كل سنة للروح التي كانت تسكن نهر النيل في اعتقادهم الديني حتى لا يفيض النهر غضبا ويتسبب في كارثة باعتبار أن هذا المجتمع كان يعتمد على الزراعة"[2].

ويضيف فرويد كذلك قائلا: " **إن المجتمع هو كائن يجب أن نعامله ككائن فردي**" معنى ذلك: أنه بالرغم من أن المجتمع عبارة عن تجمعات بشرية إلا أنه في حقيقة الأمر هو مجموعة هو مجموعة من الأفراد يتميزون ويختلفون في ما بينهم في الطباع، السلوك، طريقة التفكير، وحتى في الأذواق، وهذا يعني أن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة ماضي وتاريخ قيم التجمعات البشرية وربطها بالظواهر النفسية"[3].

كما أن "**التطور السريع في حقل علم النفس الاجتماعي يضم دراسات ثقافية متقاطعة ومعالم أخرى قريبة جدا إلى اهتمامات علماء الأنثروبولوجيا وعلم النفس في اهتماماتهم**

---

[1] مصطفى تيلوين، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص 52-53.

[3] المرجع نفسه، ص53.

وجهودهم في العمل المشترك في فسلجة الدماغ البشري والجهاز العصبي، وقد تطور مجال غير متوقع للتعاون بين علم النفس والأنثربولوجيا في المختبر والدراسات الميدانية على القردة السفلى والعليا"[1].

كذلك " **فالعنصر البشري يعتبر حلقة الوصل بين الأنثربولوجيا وعلم النفس إذ يركز الأخير على دراسة الإنسان من مختلف الجوانب الشخصية له، سعيا في الوصل إلى مجموعة من الحقائق التي تتفاوت في صفتها، سواء كانت عامة أم مطلقة، لذا لابد له من دراسة الجانب النفسي للإنسان والخصائص الجسمية الموروثة وبالتالي إيجاد العلاقة بينهما، ورصد العوامل السلوكية لدى الفرد، لذلك يسعى النفسانيون سعيا، دؤوبا في التركيز على أهمية مختلف العوامل الجسمانية"[2].**

وعليه فإن علم النفس يركز على دراسة الإنسان من خلال شخصيته وسلوكاته، وهذا ما يعكس طريقة تفكيره.

وبذلك فإن سلوك الإنسان هو محط اهتمام علم النفس والأنثروبولوجيا معا، إلا أن علم النفس يهتم بسلوك الفردي، والأنثروبولوجيا تهتم بالسلوك الجماعي المنبثق من تراث الجماعة.

ومنه فإن هناك علاقة وطيدة بين العلمين حيث أن الفرد مرتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة الاجتماعية فهو بطبعه كائن اجتماعي يؤثر ويتأثر بالآخر، وعليه لابد من وجود مهام وصفات مشتركة بين الباحث الأنتربولوجي وعلم النفس.

---

[1] بيرتي ج بيلتو، **دراسة الأنتربولوجيا المفهوم والتاريخ**، ترجمة: كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، بغدادّ، ط1، 2010، ص28.

[2] إيمان الحياري، **علاقة الأنتربولوجيا بعلم النفس**، 4 ماي 2017، رابط الموقع: com.3https://mawdoo تم الاطلاع عليه في 26 فيفري 2023 على الساعة6.30.

فكلاهما يسعيان إلى دراسة الإنسان من الجانب الداخلي وحتى الخارجي ذلك من خلال انعكاس المؤثرات الداخلية والتي تكون على المستوى الداخلي للأفكار لتظهر وتترجمه عن طريق بعض السلوكات لتسهل على باحثي الأنثروبولوجيا معرفة والوصول إلى طريقة تفكير الشعوب.

3) علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع:

" علم الاجتماع هو دراسة المجتمع الإنساني أو التفاعلات الاجتماعية، أو السلوكيات الاجتماعية، وعرفه (غدنر) أنه: "المدرسة العلمية للمجتمع"، وعرفه (تدوار روس) " أنه علم المجتمع"[1].

وعليه فعلم الاجتماع هو الذي يقوم بدراسة المجتمع دراسة منهجية محيطة بكل ما يحدثه الأفراد، وجميع ما يحدث في المجتمع من علاقات وثقافات، وتفاعلات اجتماعية.

كما أنه: **" هو العلم الذي يهتم بدراسة المجتمعات الراقية والمعقدة التي تمتاز بارتفاع مستواها المعاشي، وتعقد حياتها الاجتماعية، وزيادة مشكلاتها الحضارية والإنسانية"**[2].

فعلم الاجتماع يركز على المجتمعات الراقية والتي تكون أكثر عرضة للمشاكل فيدرسها على المستوى الشخصي من خلال المشاكل الشخصية التي تواجه الفرد، كالمشاكل العائلية، والسلوك الأخلاقي، وغيرها، كما يدرسها على المستوى المجتمعي من خلال قضايا القانون كالاقتصاد، الجريمة وغيرها، وحتى على المستوى العالمي كالنمو الاقتصادي والسكاني وغيرها...

---

[1] عبد الحميد لطفي، **علم الاجتماع**، دار النهضة العربية، بيروت، 1965، ص 21-30، نقلا عن: إسماعيل الزيود، عمان، دار الكنوز المعرفة للنشر، 2010، ص17.

[2] إسماعيل محمد الزيود، **علم الاجتماع**، دار الكنوز المعرفة للنشر، عمان، 2010، ص17.

وبهذا فإن علم الاجتماع يدرس الإنسان من جميع جوانب الحياة سواء الثقافي أو الاقتصادي وحتى السياسي، ونجد أن له الكثير من العلاقات بالعلوم الأخرى ومن بينهم علم الأنثروبولوجيا حيث أن: "**هناك علاقة وثيقة ومتفاعلة بين علم الاجتماع وعلم الأنثربولوجيا الاجتماعي، إذ يمكن القول بأن الجذور النظرية والتطبيقية لعلم الاجتماع متأصلة في المجتمع البدائي البسيط الذي هو موضع دراسة علم الإنسان أو علم الأنثروبولوجيا**"[1].

وبهذا فعلم الاجتماع يركز في دراسته على المشكلات الاجتماعية في المجتمع الواحد، كما يدرس الطبقات الاجتماعية في المجتمع، وتركز الأنثروبولوجيا **(علم الإنسان)** في دراستها على المجتمعات البدائية الأولية وأيضا المجتمعات المتحضرة المعاصرة، وهذا ما يجمع بين العلمين فكلاهما يركزان على تفاصيل المجتمعات المتقدمة والمتحضرة منها وحتى المجتمعات القديمة وطريقة تفكيرها، كمتا أنه: " **يعنى علم الأنثروبولوجيا الاجتماعي بدراسة الإنسان وثقافته وحضارته في الماضي البعيد، كما يعنى أيضا بدراسة المجتمعات البدائية الحاضرة ولذلك يستعين من يدرس هذا العلم بما يعثر عليه من الحقائق من بقايا الإنسان الذين عاشوا في الماضي الموغل في القدم ومخلفاتهم من معدات وأدوات ليتعرف على طريقة معيشتهم وأسلوب حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية كما يدرس علم الأنثروبولوجيا المجتمعات البدائية من حيث تركيبها ووظائفها والنظم الاجتماعية السائدة فيها و أيديولوجيتها وعلم سكونها ودانميكيتها، و لذلك قد يقال أحيانا أن علم الأنثروبولوجيا هو علم اجتماع الأقوام الأوائل**"[2].

وهكذا نجد أن ثمة صلة نوعا ما بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بالنظر إلى أن كلاهما يدرس الإنسان ويبحث في نفس الموضوعات وهي الحياة الاجتماعية والثقافية

---

[1] إسماعيل محمد الزيود، **علم الاجتماع**، ص 25-26.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

للمجتمعات الإنسانية، ودراسة العلاقات التي تربط أفراد وجماعات المجتمع بعضها ببعض، وحتى عادات وتقاليد الجماعات والتي تبرز هي الأخرى طريقة تفكير تلك الجماعة.

4) علاقة الأنثروبولوجيا بالدين:

يعتبر الدين نظام اجتماعي–ثقافي من السلوكيات والممارسات المعينة، فهو يربط الإنسانية بالعناصر الخارقة للطبيعة أو المتعالية أو الروحانية، ومع ذلك نجد أن هناك الكثير من الاختلافات في وضع مفهوم محدد للدين، فمثلا " نجد أن الإسلاميين قد اشتهر عندهم تعريف الدين بأنه:" **وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة، باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل**"، ويمكن تلخيصه بأن نقول: " **الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات**"[1].

فالدين الإسلامي يضمن للعباد استقرارهم وأمنهم النفسي والجسدي في جميع الجوانب، مثل حفظ أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، وعقولهم، والأهم من ذلك حفظ دينهم، وهذا ما يجعلهم يميزون بين الخير والشر، فالدين معاملة وحفظ للسلوك والابتعاد عما يضرُّهم، وطبعا هذا الدين موجه لذوي العقول السليمة التي تؤمن وتسلم بوجود قوة إلاهية خارقة غيبية متحكمة في الكون.

" **فهذا العقل الموهوب للإنسان، والمميز له عن سائر الكائنات والمخلوقات، أضاف لله صفات ومسميات استتبعها بوظائف وواجبات، استدعت وجود نظم اجتماعية وأخلاقية، وطرائق فكرية ومنهجية، فكان الدين ضرورة عقلية لوضع ضوابط العيش المشترك بين**

[1] محمد بن عبد الله دراز، **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، المطبعة العالمية، 01 يناير، 2017، (د.ب)، ص33.

الناس وتنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوق لضمان سلامة المجتمع الإنساني من جهة، ولضمان العقاب والثواب عن الأفعال من جهة أخرى"[1].

إذن فالعقل هبة إلاهية ميزنا بها الله عن سائر المخلوقات، فكان لنا حضٌ كبيرٌ في التدبر والتأمل في خلق الله، وقد ورد ذكر العقل في الكثير من المواضع في القرآن الكريم منها قوله تعالى: **{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}**[2]، وقوله أيضا: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ}**[3].

وعليه فالعقل هو الأداة الوحيدة التي تميز بين الحق والباطل والمسؤول الوحيد عن عملية الإدراك والتفكير والفهم.

كما أن الدين له علاقة مع العديد من العلوم، فبعض العلوم تعتبره المصدر الأول الذي تستقى منه معلوماتها، وهذا ما نجده مع الأنثروبولوجيا ذلك أن:" **أنثروبولوجيا الدين لا تقتصر على وصف الأمور الدينية وتفنيدها وتصنيفها، بل ترى أن الدين جزء من الثقافة، ويبحث عن تفسير أوجه الشبه والاختلاف بين المظاهر الدينية في المجتمعات المختلفة، دون أن تميز مؤسسة التوحيد التي شكلت ضمائرنا في الغرب، ولا يقتصر ذلك فقط على دراسة العهود القديمة أو العالم الثالث، بل يهتم أيضا بالطقوس النيبالية، و الأساطير الإفريقية في غينيا، والشامانية السيبيرية، وسحرة إقليم بريطانيا، وتركز الأنثربولوجيا على المجتمعات صغيرة الحجم، ذات الثقافة المحدودة والعتيقة أحيانا، والتي ينصهر فيها العادات القبلية**

---

[1] حسن السيد عز الدين بحر العلوم، **الأصول المشتركة للأديان**، شركة العارف للأعمال، ش.م.م، بيروت–لبنان، ط1، 2013، ص12.

[2] سورة البقرة، الأية 242.

[3] سورة يوسف، الأية 2.

والدين ويعتمد هذا العلم بطبيعة الحال على تبادل المعلومات، ووجهات النظر مع تخصصات مشابهة، تبحث جميعها عن فهم الأمور الدينية"[1].

ويعني هذا أن الأنثروبولوجيا أو بالأحرى عالم الأنثروبولوجيا يقوم بدراسة معتقدات وأفكار الإنسان منذ القدم إلى يومنا هذا، باختلاف الديانات، والأوساط الاجتماعية، وهو ما نجده مثلا عند دراسة الإنسان الهندي أنثروبولوجيا، فنجد الكثير من الاختلافات خاصة في الوسط الاجتماعي الصغير فمنهم من يؤمن بعبادة الله الواحد الأحد، ومنهم دون ذلك، فنجدهم يصدقون الخرافات كإيمانهم بالطوطم والشعوذات، وعبادة الحيوانات كالأبقار وغيرها، وهذا إن دل فيدل على الثقافة المحدودة الغالبة على تلك المجتمعات.

وعليه "**فمحورية الدراسة الأنثربولوجية للدين، وبالذات في مجتمعنا التي يلعب فيها التصور الديني الجامع المؤسس لمعظم رؤانا، وأساليب تفكيرنا، وما يعزز من ضرورة الاهتمام بالمقاربة الأنثربولوجية للدين"[2].**

5) علاقة الأنثروبولوجيا بالإثنوغرافيا:

تعرف الإثنوغرافيا (l'ethnogrphie) بأنها:" **دراسة وصفية لأنشطة جماعة إنسانية معينة، سواء أكانت جماعة بدائية تقليدية أم جماعة معاصرة ومعتمدة، بالتركيز على بنيات القرابة، والتقنيات المادية، والمعتقدات الدينية، والتنظيم المجتمعي، واستعمال**

---

[1] كلود ريفيير، **الأنتربولوجيا الاجتماعية للأديان**، ترجمة: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، شارع الجبلاية بالأوبرا، الجزيرة–القاهرة، ط1، 2015، ص20.

[2] أبو بكر بن أحمد باقادر، **الدين والأنتربولوجيا**، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 24 ديسمبر 2014، رابط الموقع: https://www.mominoun.com تم الاطلاع عليه في 02/26/ 2023 على الساعة 10:30.

آلات العمل، والاستثمار في الأرض ...، وتعد أيضا منهجية استكشافية تطبيقية في البحث العلمي في مجالي الإثنولوجيا والأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية"[1].

فالإثنوغرافيا تعمل على التأمل وتملك مساهمات جوهرية في فهم الحياة الاجتماعية للمجتمعات، كما أنها تصف أنشطة وسلوكات البشر بغض النظر عن بدائية الشعوب أو المعاصرة منها.

" ومن هنا فالإثنوغرافيا هي دراسة ميدانية وتحليلية للعادات والقيم والتقاليد، والأعراف، لجماعات سكانية محددة، وقد ارتبطت هذه المنهجية قديما بدراسة الشعوب البدائية"[2].

وبذلك فهي تقوم بتحليل العادات والتقاليد وأنماط حياة الشعوب، من خلال دراسة ثقافاتهم، وملاحظة سلوكاتهم ملاحظة ميدانية، فلا يستطيع عالم الإثنوغرافيا الإحاطة بمعتقدات وطريقة تفكير الشعوب إلا من خلال المكوث بينهم لمدة زمنية طويلة والمشاركة في طقوسهم وعاداتهم لتتضح له الصورة بدقة.

كما أن علم الإثنوغرافيا كغيرها من العلوم لها علاقة تربطها مع العديد من العلوم، من بينها علم الأنثربولوجيا، ذلك أن "**الإثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا عندما قام الأوروبيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا، وإفريقيا، وأستراليا، وآسيا، حيث وصفوا أدواتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وكل ما يتصل بثقافاتهم المادية المختلفة،**

---

(1) Jeancopans l'enquêt et hnologique de terrain, paris, Nathan, 1998. نقلاعن: جميل حمداوي، **الأنتربولوجيا والإثنولوجيا والإثنوغرافيا**، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور، تطوان–المملكة المغربية، ط1، 2020، ص 119–120.

(2) المرجع نفسه، ص120.

وسرعان ما تبنى الأنثربولوجيون هذه المعلومات، واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري"[1].

وبذلك فالإثنوغرافيا منذ القدم تقوم على دراسة وتحليل الشعوب بوصف أدواتهم، وتعاملاتهم اليومية، والعادات والتقاليد المسيطرة في ذلك المجتمع، وحتى طرق تفكيرهم وثقافتهم، فيميزون كل مجتمع على حدا باعتبار أن الخصائص الثقافية تختلف وتتميز من مجتمع لآخر، وهذا ما تبناه علماء الأنثروبولوجيا فكان مكملا لدراساتهم بغرض تطوير المجتمع البشري والخوض في تفاصيله من خلال التعمق أكثر في بناته وأعراقه.

وعليه فالإثنوغرافيا والأنثروبولوجيا كلاهما يسعى لدراسة الإنسان اجتماعيا وثقافيا، لفهم عاداته وتقاليده، ودراستها دراسة دقيقة، بداية بالشعوب القديمة وصولا إلى ما هي عليه الأن لمعرفة أسرار الشعوب.

6) علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة:

"تعود كلمة (فلسفة) إلى الأصل اليوناني المكون من مقطعين (فيلو philo) (سوفيا sphy) أي (فيلوسوفيا philosophy)، وتعني (حب الحكمة)، أو محبة الحكمة"[2].

"إن من أهم الغرائز الإنسانية هي غريزة البحث عن الحقيقة، وغريزة حس التتبع الذي لا يعرف الكلل ولا الملل، فالإنسان في تعطش دائم للمعرفة، وهذه الغريزة موجودة عند الجميع وإن كانت بشكل متفاوت، وقد أفرد الإنسان لكل مجموعة من المسائل المترابطة فيما

---

[1] ليندة عبد اللاوي، **محاضرات في ميادين الأنتربولوجيا**، مطبوعة بيداغوجية موجهة إلى طلبة سنة ثانية LMD أنتربولوجيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ص3.

[2] عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنتربولوجيا)**، ص39.

بينها علما خاصا بها، ومن بين تلك العلوم هو علم الفلسفة الذي يجيب عن أسئلة كثير تخطر في ذهن الإنسان، كالتي تسأل عن أصل الوجود"[1].

فالإنسان كائن فضولي دائم التساؤل عن سر الوجود والبحث عن الحقيقة وغيرها من التساؤلات، وبذلك فهي تعمل على إذكاء جذوة التفكير وشحن الطاقة الكامنة في القدرات الذهنية وإبرازها، فالعقل الإنساني له دور كبير في الوصول إلى الحقائق من خلال طرح التساؤلات ووضع الفرضيات للوصول إلى النتائج التي يتقبلها العقل البشري.

إذ "**يعتمد نجاح الشخص أو فشله في أمور حياته على العامل النفسي لديه، وتفكيره الصحيح، وطريقة تخطيطه للأمور، فللعقل دور كبير في تنفيذ مخططاته الشخصية، فهو المحرك الرئيسي له، لذلك عند القيام بأي من الأعمال لا بد من توظيف الحكمة في تصرفاتنا..."[2].**

وعلم الفلسفة كغيرها من العلوم تتداخل ببعضها ونجد أن الفلسفة ترتبط ارتباطا وثيقا "**بعلم الأنثروبولوجيا فهما لا ينفصلان عن بعضهما، حيث أن دراسة حياة الإنسان والبحث فيها وتطوراتها وما ستؤول إليه، والتنبؤ بالمستقبل هو النظرة الشاملة لهما، وهو ما تدرسه الفلسفة، حيث تدرس طبيعة وحقيقة الموجودات في الكون، كما أن الفلسفة تقوم على تحليل وتفكيك الموضوع للوصول إلى جميع التفاصيل والحقائق، وكذلك الأنثروبولوجيا تقوم بتحليل وفهم سلوك البشر والهدف من وجوده، وأصل تاريخه"[3].**

---

[1] مركز نون للتأليف والترجمة، **مدخل إلى علم الفلسفة**، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت–لبنان، 2010، ص17.

[2] شريهان حوامدة، **الأنتربولوجيا وعلاقتها بعلم الفلسفة**، 27 أكتوبر 2020، رابط الموقع: http://e3arabi.com تم الاطلاع عليه في 26 فيفري 2023 على الساعة 23:30.

[3] المرجع نفسه.

فالفلسفة والأنثروبولوجيا لهما العديد من الخصائص المشتركة ذلك من خلال الجانب التحليلي والتفكيكي لموضوع الدراسة، فلا بد لعالم الأنثروبولوجيا من تحليل وتفكيك ثقافة وتفكير المجتمع للوصول أدق التفاصيل لفهم سلوك ذلك المجتمع وخلفياته السابقة وأصل تاريخه، وهذا ما تعتمده الفلسفة في دراستها لطبيعة وحقيقة الموجودات في الكون.

وعليه "**فدراسة أصل الإنسان ونشأته وحياته وسعيه إلى البقاء والخلود، وما ينجم عن ذلك من تطور وتغير مستمرين، كلها تقع في ميدان الدراسات الأنثربولوجية، ولا سيما تلك العلاقة الأزلية بين طبيعة الإنسان، وواقعه وما يطمح إليه من آمال وأهداف، تُؤَّمن سيرورة حياته**"[1].

رابعا: علاقة الأنثربولوجيا بالأدب:

تعد الثقافة بما تحمله من خصوصيات متمايزة عن هوية الشعوب منبعًا ثريا لتمثل مواضيع جديدة داخل الأدب، والرواية بقدرتها على امتلاك كم هائل من الفنون و الأنواع الأدبية، والأجناس التعبيرية قادرة على هذا التمثل، لأنها تمتلك خاصية المرونة التي تمنحها طاقات خاصة تجعلها قادرة على امتصاص واجترار النصوص الأخرى، ثم اخضاعها لمنطق السرد الروائي، فالأدب يرسم تجارب الإنسان بطريقته الخاصة، التي لا تمنع استفادته من علوم أخرى، وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى الأدب ضمن نظرة متكاملة تحاول أن تستفيد من مختلف نتائج العلوم الإنسانية، ومنها على الخصوص الأنثربولوجيا.

يرتبط علم الأنثربولوجيا ارتباطا وثيقا بالإنسان، فقد تعددت وتشبعت التعريفات التي تخص هذا المصطلح إلا أن أغلبها يصب في كونها "**علم دراسة الإنسان وأعماله**" أو "**علم**

[1] عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنتربولوجيا)**، ص40.

دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا"[1]، ولعل ارتباط هذا العلم بالإنسان يعزز دواعي اشتراكها مع الأدب، ولا سيما الرواية التي تعنى بخلاصة تجارب الإنسان.

والحديث عن علاقة الأنثربولوجيا بالأدب، هو حديث بالمقام الأول عن علاقة وطيدة تربط العلوم الإنسانية والاجتماعية فيما بينها، وإن كان مجال اهتمام هذا العلم هو الإنسان وثقافته ومعتقداته، فإن علاقته بالأدب تزداد تماسكا لكون الأخير يحمل عديدة مظاهر الحياة البشرية من موروثات شعبية وطقوس دينية واحتفالية وأساطير وغيرها[2].

شهد علم الأنثربولوجيا تطورات نوعية ساهمت في حلحلته إلى الجانب الأدبي شيئا فشيئا، وبذلك فباتت الأنثربولوجيا تقترب أكثر من الفن الروائي لأنه يعتني اعتناء خاصا بنفسية الإنسان محور اهتمام اللعبة السردية في الفن الروائي لينتقل مفهوم الأنثربولوجيا لمفهوم أوسع مع العالم البريطاني **(إدوارد تايلور)** يتطور مفهومها ويتحدد على أنها: "**الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان" فقد ربط هذا الأخير بين المظاهر البايولوجية للإنسان وما يتلقاه من تعلم وتنشئة اجتماعية**"[3].

كما أنه: " **ان ضروريا أن تقارب هذه العلاقة الصعبة، بل المركبة والمتراكبة بين الأدب والأنثربولوجيا، فلم يكن رجالات الأنثربولوجيا يجدون صعوبة في الإنتقال من الإثنولوجيا إلى الفلكلور ودراسة الآداب الكلاسيكية الشرقية أو الغربية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرحَّالة والمبشرين، فكانوا هم الآخرون يتوفرون غالبيتهم على ثقافة أدبية**"[4].

---

[1] مصطفى شاكر سليم، **قاموس الأنتربولوجيا**، جامعة الكويت، (ط1)، 1981، ص56.

[2] فتيحة بلحاجي، فاطمة صغير، **التراث الأسطوري والممارسات الطقوسية في الصحراء: مقاربة أنتربولوجية**، مجلة أنتربولوجية الأديان، العدد2، المجلد16، جامعة بلقايد، تلمسان، كلية الأداب واللغات، 2020/06/30، ص 193-208.

[3] عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان**، ص09.

[4] سهام بودروعة، **محاضرات في التحليل الأنتربولوجي للأدب**، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر- دراسات أدبية-، كلية الآداب، جامعة 08 ماي1945، قالمة، الموسم الجامعي 2018-2019، ص 81-82.

فالأنثربولوجيا من بين العلوم المهتمة بدراسة الثقافات والتقاليد والأعراف لدى الشعوب، وعلى الرغم من أنها ترتبط بالدراسة الاجتماعية والبشرية إلا أنها تأثرت بالأدب بشكل كبير، فلم يكن هناك حاجز بين هذين العلمين (الأنثربولوجيا والأدب) بل كانا مكملان لبعضهما، حيث نجد العديد من الأعمال الأدبية والروايات استخدمت فيها الأنثربولوجيا وحاكت مضامينها، وكان لها دور هام في إبراز تفاصيل المجتمعات بالتركيز على ثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما أن الأنثربولوجيا تعتبر نقطة أساسية لفهم مراحل التطور الثقافي والاجتماعي، اللذان يمثلان جزءا منها.

ونجد كذلك "**ضمن هذا التوجه يلح (جلبيردوران) في إحدى خلاصاته حول دراسات الأساطير، على نقطة أساسية حيث يرى أنه على عكس المفاهيم المعتمدة من قبل الباحثين الجامعيين، لا يمكن الفصل بين علوم الثقافة، مثل النقد الأدبي والأدب وعلوم المجتمع**"[1].

ذلك أن الأدب والأنثربولوجيا مرتبطان بالمجتمع حيث يستمدان مادتهما الجوهرية منه، فالأدب المكتوب هو ذو نتاج لثقافة المجتمع، فيعمل هذا المجتمع على تجسيد ملامح عصره الحاضر والسابق، ليبرز طرق تفكيره منذ الأقدم وفي ذلك تأصيل لسابقيه وإبراز لهويته، بذلك يصبح الأدب المكتوب أشبه بمتحف يشكل رصيدا ثقافيا ثابتا، وهو مرآة عاكسة لأحوال المجتمعات فيصف عاداتهم وتقاليدهم، وحتى أدواتهم المستعمل وهذا ما يسمى بأنثربولوجيا الأدب، لذا فهما وجهان لعملة واحدة.

مما سبق نستنتج أن الانثروبولوجيا كانت علما لدراسة الإنسان منذ القدم، وهذا ما اكتشفته بعض الدراسات التي كان لها الفضل في نقل الحياة البدائية للشعوب القديمة، مركزين على أدق تفاصيل حياة المجتمعات، وقد تطورت (الأنثروبولوجيا) بتطور الحياة فكانت كغيرها

---

[1] سهام بودروعة، **محاضرات في التحليل الأنتربولوجي للأدب**، ص82.

من العلوم تربطها العديد من العلاقات بمختلف العلوم كعلم البيولوجيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والدين والفلسفة وغيرها، فرغم اختلاف تخصصها إلا أنها تشترك في العديد من الخصائص التي تجعلها مكملة لبعضها البعض.

الفصل الثاني: تجليات الأنثروبولوجية في رواية كامارد رفيق الحيف والضياع

أولا: تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية في رواية كامارد رفيق الحيف والضياع.

1) **اللباس والزينة.**
2) **الأكل والشرب.**
3) **الرقص والغناء.**

ثالثا: تجليات الأنثروبولوجيا الدينية في الرواية.

1) **شعيرة الصلاة.**
2) **خاصية التبرك والصلاة على النبي.**
3) **الإغراق في تقديس الأساطير والمرويات الغرائبية.**
4) **استعمال التمائم والحروز.**
5) **الدعاء.**
6) **التذبذب في العبادة.**

ثالثا: تجليات الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

1) **نظام القرابة.**
2) **المظاهر الاجتماعية.**
3) **العلاقات الاجتماعية**

رابعا: تجليات الأنثروبولوجيا السياسية في الرواية.

1) **جرائم الاستعمار.**
2) **تغافل السلطة.**
3) **ظاهرة التزوير.**
4) **السمسرة والرشوة.**

خامسا: تجليات الأنثروبولوجيا اللغوية.

أولا: تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع

بداية تعتبر الأنثروبولوجيا الثقافية: "**ذلك الفرع من الأنثروبولوجيا العامة الذي يهتم بدراسة السلوك الإنساني في ماضيه وحاضره، ولما كانت ثقافة الإنسان (العرف، التقاليد، المعتقدات، والممارسات...إلخ) هي الوسيلة التي تمكنه من الاتصال بالآخرين سواء جماعته المحلية، أو الجماعات الأخرى المحيطة بما لها من خصائص اجتماعية في بيئتها الطبيعية المتباينة، لذا كان أحد أهداف الأنثروبولوجيا الثقافية دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الاهتمام بتاريخ هذه الثقافات وأصولها ونموها وتطورها**"[1].

وعليه فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة الإنسان ثقافيا، كما تهدف "**الأنثروبولوجيا الثقافية**" إلى دراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، وكذا تطورها وتباينها على مرِّ العصور، كما تهتم "**الأنثروبولوجيا الثقافية**" بالثقافة في حد ذاتها، سواء كانت ثقافة أسلافنا، أبناء العصور الماضية، أو ثقافة أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة.

وعليه فالثقافة عنصر أساسي في أي مجتمع، وهي عبارة عن خلاصة التجارب والخبرات التي عاشها الإنسان واكتسبها في حياته.

كما أن الأنثروبولوجيا الثقافية هي: "**الفكر بقطاعاته المختلفة من لغة، ودين، وأدب، وتاريخ، وتراث، وهي مرتبطة أساسا بأمة ما، يتمثل فيها ضميرها وروحها، وهي تقوم أساسا**

---

[1] فاروق مصطفى إسماعيل، **الأنتروبولوجيا الثقافية**، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980، د. ط، ص28.

على جذور أساسية من روح الأمم وضميرها ممتزجة بتكوينها الروحي، والنفسي، والاجتماعي، وتحمل طابع الأمة أساسا"[1].

وبالتالي فالأنثروبولوجيا الثقافية انعكاس لفكر الإنسان ومعتقداته، وحتى عاداته وتقاليده، وهذا ما انعكس أيضا على الأدب باعتبار أن الكاتب ابن بيئته، فلا بد من أن العمل الأدبي سيكون مرآة عاكسة لثقافة المجتمعات واختلافها وتطورها، وهذا ما نجده وبكثرة في الروايات العربية عموما والجزائرية خصوصا، ومن بين هاته الروايات رواية "**كاماراد رفيق الحيف والضياع**" لـ **(صديق أحمد الحاج الزيواني)**، حيث نلمس فيها الكثير من مظاهر الأنثروبولوجيا الثقافية المتمثلة في الأكل، واللباس والغناء وغيرها.

1) اللباس والزينة:

يعد اللباس والزينة من أهم الأشياء التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية، فلكل شخص مميزاته واختلافه عن الآخرين في طريقة لباسه ووضعه للزينة والتي تنبع من هويته الثقافية والتي تؤمن نوعا من الدمج الداخلي بغية للتمايز الخارجي.

وقد أولت الأنثروبولوجيا اهتمامها لهذا المجال (اللباس والزينة) لما له من انعكاس ثقافي لأفراد المجتمعات، وكذا لأنه يعبر عن هويتهم وعاداتهم وتقاليدهم وحتى دينهم وأعرافهم والتي تربوا عليها منذ الصغر ليرثوها عن آبائهم وأجدادهم.

1.1. اللباس:

تعتبر الألبسة من أهم الأشياء المستخدمة في الكشف عن تراث الشعوب، حيث يلجأ إليها كل من عالم الدين، وعالم الاجتماع وغيرهم من العلماء والباحثين، وقد كانت هناك العديد

---

[1] أنور الجندي، **الثقافة العربية المعاصرة، في معارك التغريب والشعوبية**، مطبعة الرسالة للنشر، 25 أبريل 2014، د. ب، ص13.

من الدراسات الأنثروبولوجية المتخصصة في اللباس وحاجات الإنسان له، فكان المنطلق من العصور القديمة ابتداء من أوراق التين الملفوف حول أجسام البشر، حيث اتخذها الإنسان لستر عورته، وحين شعر هذا الإنسان بالبرد وجد في الجلود والصوف سبيلا للدفء، وبمرور السنين تطور اللباس إلى ظهور الخياطة، وتوفر المواد الأساسية وتنوع التفصيلات، وبذلك تكون الوظيفة الأساسية للملابس مهما اختلفت أنواعها وأشكالها هي التستر والحماية من الظروف المناخية القاسية وغيرها، هذا من جانب الوظيفة، أما من الجانب الثقافي فقد توصلوا إلى أنها تنقل هوية الشخص وتشير إلى شخصيته ومعتقداته وطريقة عيشه وخلفيته العرقية.

كما أن للباس دورا كبيرا في التعرف على هوية المرء باعتبار أن اللباس مرتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة، فبمجرد رؤية الإنسان من بعيد ومن خلال ملابسه نفهم حالته النفسية، حتى طبقته الاجتماعية، وأخلاقه ومنظومته.

ويحضر اللباس بقوة في الرواية، حيث أدرك **(الزيواني)** ما لهذا العنصر من أهمية في تحديد خصوصية المجتمع الإفريقي فوظفه من خلال وصف دقيق لشخصيات مجتمع الرواية، وطريقة لباسها.

ويلفي المتأمل للرواية أن للباس أهمية في تحديد هوية كل مجتمع، فمثلا المجتمع الفرنسي كان للباسه حضا للحضور في الرواية، حيث أسقطها الكاتب على شخصية المخرج الفرنسي **(جاك بلوز)**، فبرزت هويته الفرنسية من خلال لباسه الذي يعكس تحضره ورقيه، ويظهر ذلك من خلال قول الكاتب في وصف المخرج: "**رسم دخان الغليون عليها اصفرارا خفيفا عند جعبتي الأنف، يضع على عينه في زهوٍ، نظارات شمسية ماركة أصلية (Ray Ban)، يلبس جاكيتا جلديا إيطاليا أسود حفيفا، مع كشكول كتاني به ألوان حالمة، تليق بذوق فنان...سروال جينز، حذاء إيطالي بني رفيع، تعتمر رأسه قبعة خفيفة**"[1].

[1] الصديق حاج أحمد، **رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع**، دار فضاءات، عمان-الأردن، ط1، 2016، ص 11-12.

فتفاصيل لباس المخرج الفرنسي هي تفاصيل فخمة توحي بالطبقة البرجوازية التي ينتمي لها، كما تعكس تقدم وثقافة المدينة التي ينتمي إليها **(جاك بلوز)** فرنسا والتي تعتبر عاصمة الموضة، كما أن المظهر شرط من شروط الفنان أو المخرج السينمائي، ويظهر لنا كذلك التشبع المادي والهدوء النفسي وذلك من خلال اختياره لألوان هادئة حالمة تعكس شخصيته، وتبرز مدى ثقافته المتقدمة، فاللباس هنا عبارة عن مرآة عاكسة لشخصية المخرج الهادئة، وعن هويته البعيدة عن التخلف والتي تكتسي بحلة الأناقة والرقي على عكس ما نجده في الجانب الآخر لدى المجتمع الإفريقي وربما هذا ما أراده **(الزيواني)**، وهو إحداث مفارقة بين الثقافات من جهة المجتمعات المتقدمة والمتخلفة، وهذا ما يظهر في الشخصية الإفريقية، وطريقة لباسهم لأنه بمثابة جواز سفر يعكس ثقافاتهم وعاداتهم، وحتى معتقداتهم أينما حلو، وبه تثبت هواياتهم، وطبقاتهم الاجتماعية.

ويتجلى ذلك من خلال قول **(مامادو)** عند ذهابه إلى عمه **(بامبا)**: **"مررت على عمي (بامبا)، باب بيته مغلق، الضوء يكاد يكون منعدما بالرحبة التي يتصل بها من الخارج، حائط طيني قصير نوعا ما، خبطتُ على بابه التقليدي، المصنوع من أعواد شجر (المانG)، بعد مدّة ليست بالطويلة، فتح الباب سلَّمت عليه، هو شخص خمسيني، فارع الطول هذا ما بدا لي ليلا، تعرَّفت صباحا أنه يلبس عباءة زرقاء من البازان الرخيص، يلفّ على رأسه شاشا أسود"**[1].

فلباس العم **(بامبا)** دليل على الفقر وعلى المستوى المعيشي المتدني، الذي لا يسمح للمجتمع الإفريقي باقتناء أرقى أنواع الألبسة وأبهظها، فالبرغم من وظيفة اللباس الأساسية وهي التستر وإخفاء العورة، وكذا الحماية من الحرارة والبرد، إلا أنه في الوقت نفسه بطاقة هوية تكشف جنس الشخص وبلده، وحتى مستواه وطبقته الاجتماعية ليكون سفير قومه يحمل عنهم

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص77.

مقومات مجتمعه من أخلاق وثقافة تبرز من خلال طريقة اللباس ونوعه، وهذا ما كان ظاهرا على اللباس الإفريقي الذي لم يتخطى طابع البساطة ليعبر عن ثقافتهم من خلال لبس العباءة، فكانت بارزة في العديد من تفاصيل الرواية، وهذا إن دلَّ فيدل على محافظتهم على تراثهم في لبس العباءات باختلاف أنواعها، وفيها رمز للهوية والثبات.

ورغم تطور الزي البشري وتعدد موضات الألبسة، التي استعملت في إظهار الجمال والتعبير عن الأفكار الإنسانية الثقافية المعاصرة، ليكون بذلك هوية فردية خاصة تنوعت بتنوع الثقافات وطرق التفكير، وفي المقابل هناك من بقي مخلصا لزيه لا تغريه الموضات أو الألبسة العصرية خاصة رجال الدين الذين احتفظوا بزيهم الدال عليهم، وبقي يشكل حالة خاصة بارزة لكل من يراهم للوهلة الأولى لتكون بذلك مفتاح هويتهم وأصالتهم الدينية، وهذا ما نجده في تفاصيل الرواية وذلك من خلال قول بطل الرواية **(مامادو)**: "**فالبرغم من أن اليوم جمعة وعطلة، إلا أن الحركة بهذا الشارع بدت نشطة وغير عادية، لون الأمل هو الطاغي على ألبسة أهل البلدة، قدَّرت في غوري 'أن نزولنا بها، فيه فال خير لنا...'، في غائرتي ثانية: اللون الأبيض سواء عند المسلمين أو المسيحيين يدل على النقاء، والصفاء، والوضوح**"[1].

فالمجتمع الإفريقي كغيره من المجتمعات والأجناس يتمتعون بثقافة موحدة تميزهم عن غيرهم خاصة في اللباس الديني، والذي يعد رمزا من رموزهم يعبر عن هويتهم وثباتهم باختلاف دياناتهم سواء المسلمين أو المسيحيين، فكان اللباس يعكس ثقافتهم وأخلاقهم وحتى معتقداتهم، فكان اللون الأبيض دليلا على ديانتهم فلا يصعب على أي شخص رؤيتهم إلا ومعرفة انتمائهم وعقيدتهم، كما أن **(مامادو)** اتخذ هذا اللباس بشرى وفأل خير وتفاؤل لهم وربطه بمظهر الإسلام والدين، فمن الواضح أن اللباس الأبيض له الكثير من الدلالات للأفارقة، فهو رمز للنقاء، العفة، والصدق، وحتى أن فيه راحة للعين والوضوح.

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص310.

ونجد في موضع آخر يقول **(مامادو)**: "**اتجهت بنا الحافلة نحو المحطة الطرقية للمسافرين، أغلب الذين كانوا يسيرون في الطرقات يلبسون ثيابا بيضاء، تذكرت بأن اليوم عيد المسلمين**"[1].

فهنا كذلك برزت الثياب البيضاء، حيث تذكر واستنتج **(مامادو)** بأنه عيد المسلمين والذي هو يوم الجمعة، وهي عادة موروثة من القدم وجزء من اللباس الديني...، فأخذها وتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد لإبراز هوياتهم الدينية التي تميزهم عن غيرهم من الشعوب والمجتمعات وفي ذلك احتفاء بدينهم وإسلامهم والاعتزاز به، كما أنه رمز للثبات على أصولهم العريقة التي لا تتزعزع مهما تعددت الألبسة وتنوعت الموضة، يبقى الزي الإسلامي موحدا بارزا يعكس ثقافات وتفكير المجتمع الإسلامي، وتمسكه بتراثه الذي لا يزول.

كذلك نجد أن للبيئة دورا كبيرا في إبراز ثقافة المجتمع وخاصة المجتمع الصحراوي، فالحياة البشرية متعلقة ومرتبطة بالبيئة الطبيعية، فكانت الحياة الصحراوية بسيطة تقليدية تعكس عاداتهم وتقاليدهم التي ورثوها عن أجدادهم وفرضتها الطبيعة الصحراوية القاسية، وهذا ما انعكس على ألبستهم التي يتميزون بها منذ القدم، فكانت بمثابة رمز للثبات والاختلاف عن باقي المجتمعات فكان هناك تحفظ كبير من قبل سكان الصحراء بعادات وتقاليد زيهم الصحراوي، وهذا ما كان بارزا في الرواية، حيث ركز **(الزيواني)** على العديد من الألبسة التي تميز بها سكان الصحراء فمثلا تحدث عن اللثام والملحفة عند النساء وغيرها.

1.1.1. اللثام:

يعتبر اللثام من بين الألبسة التقليدية التي تعد إحدى المقومات العريقة في المجتمع الصحراوي الأصيل، حيث يعد مظهر للهوية والأصالة لدى الرجل الطارقي، فهو بذلك مرجعية ثقافية فالرجل الطارقي لم يتأثر بالتغير الاجتماعي والثقافي بل حافظ على شكله ووظيفته

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص309.

التقليدية، كما أن اللثام له علاقة كبيرة بمتطلبات البيئة، حيث فرضت عليهم نوعا من اللباس يساير بلادهم الحارة، وكذا مظاهر البساطة التي تعكس الحياة البدوية حتى بات هذا اللثام جزءا أصيلا من هويتهم ورمزا دالا على جنسيتهم، وعرقهم، وانتمائهم، فبمجرد أن ترى اللثام عليهم إلا وتدرك أنه طارقي، وبذلك أصبح اللثام بطاقة هوية تدل وتميز الطارقي عن غيره.

إذن فهو ميزة اجتماعية ثقافية أصيلة عند الطوارق لا يُعرف تاريخ نشأتها على وجه التحديد، فهي موجودة منذ القدم ورثها الأبناء عن الأجداد وحافظوا على مقوماتها، رغم تغير العديد من عاداتهم إلا أن اللثام بقي زيًا رسميًا راسخا عندهم ويعتبرونه سنة من سننهم، فَيَحْضُرون به في احتفالاتهم اعتزازا به ورمزا للتميز، وللثبات الهوية.

كما يعتبر المجتمع الصحراوي اللثام أداة يقي بها الطارقي نفسه من الحرِّ، البرد، وحتى الرمل في بيئته الصحراوية متطرفة المناخ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فاللثام شعار أو تأشيرة مرور يتميز بها الطوارق، حيث تتميز المرأة الصحراوية بلباس الملاحف ويعد رمزا من رموز هويتها، وثقافتها، حافظت عليه وجعلته أساسيا في حياتها، فلا يصح خروج المرأة من غير وضع الملحفة.

كذلك نجد أن للألوان دلالة فغالبا ما تكون الألوان الزاهية خاصة بفئة الشابات، وأخرى مرتبطة بفئة المسنات، ويعود السبب في هذه الاختيارات اللونية إلى الدلالة العميقة للون الذي قد يرمز إلى انتماء اجتماعي أو عمري معين، كما يدل على الهوية فمن غير اللائق على امرأة مسنة أن ترتدي ملحفة مزركشة بالألوان، كما أن للألوان المزركشة دلالة أخرى فيمكن أن تلبس للفت الأنظار من طرف الشباب بغرض الزواج.

وهكذا فالزي الصحراوي سواء الرجالي أو النسائي منه له طابع مميز يميزه عن بقية المجتمعات مرَّ بالعديد من الخلفيات للوصول إلى ما هو عليه، فعمل الإنسان الطارقي على ترسيخ معالم لباسه، وتوريثها لأبنائه وأحفاده ليحملوا مشعل الزي الطارقي ليكون بذلك خاصية

جوهرية متأصلة ورمزا للهوية الثابتة. لمعرفة بعضهم فكل من لا لثام له يعتبر غريبا في وسطهم.

كما أن للون اللثام دلالة كبيرة في الفرز الطبقي بين فئة النبلاء والفئة العادية، ويعمل أيضا اللثام في الفصل بين الأطفال والرجال فالطارقي لا يلبس اللثام إلا في عمر معين وبهذا تتعدد وظائفه في المجتمع الصحراوي.

ومن خلال وقوفنا على أمثلة اللثام الطارقي في الرواية يظهر لنا أن هناك تمسك كبير بثقافة اللباس، وهذا ما سرده **(مامادو)** في مضمون الرواية، وفي اتجاهه نحو الشمال أو الجنة كما يسمونها الحراقة مرورا بالجزائر، حيث مرَّ بالصحراء الجزائرية مما جعل بعض عاداتها وثقافاتها تبرز في الرواية فيقول: "**سرنا على الأقدام زهاء ساعة بدأت ملامح التحضر تتقلص، كما أخذ الماعز في الظهور كذلك...ملامح الطوارق بلثاماتهم**"[1].

ففي هذا المقطع دلالة على البساطة وغياب التحضر، وهذا ما يعرف به أهل الصحراء وخاصة الطوارق فيعرفون بلباسهم المميز عن غيرهم، والذي هو اللثام باعتباره لباس مقدس منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا، حتى صار مظهرا من مظاهر الهوية لدى الرجل الطارقي، لذلك فبحديثنا عن الطوارق لابد من تبادر اللثام إلى ذهن أي شخص حتى وإن كان ليس من الصحراء، وفي ذلك دلالة على أن التراث الطارقي أو اللباس الطارقي قد أصبح جزءا مرتبطا ارتباطا وثيقا بشخصيتهم وهويتهم، وثقافتهم.

لذلك فهم يسعون إلى إبرازه ونشر ثقافتهم إلى أبعد الحدود، وهذا ما كان له دور في جعل الشخصية الطارقية رمزا للثبات في المحافظة على تراثها غير مكترثة ولا متأثرة بالتجديد أو ما يعرف بالحداثة، وبذلك أصبح اللباس الطارقي مظهرا من مظاهر الهوية لدى الرجل الطارقي ليس في الجزائر فحسب بل جل طوارق الصحراء الكبرى الإفريقية.

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص310.

ونجد في موضع آخر **(مامادو)** يتحدث عن اللثام بقوله: "**بعد انطلاق مركبة "لاندرفر"؟ بنصف ساعة، نادى علينا صاحب "أف جي 45" هو رجل يضع لثاما على وجهه كما قلنا، أخاله أربعينيا للأسف لم أتبين أرنبة أنفه وفمه بفعل اللثام حتى أصفه**"[1].

كما قلنا سابقا فسكان الصحراء يتميزون بوضعهم للثام فبات رمزا للثبات والهوية الطارقية، فكان اللثام في هذا النموذج موضعا للتستر باعتبار هذا الرجل من المهربين على الرغم من أنه زي رسمي للطوارق، إلا أن هذا الرجل وجد فيه اختباءً وتسترا جراء عمله المخالف للقانون.

ونجد **(مامادو)** أيضا في مدينة "**عين قزام**" قد وجد حضورا للثام بكثرة وذلك من خلال قوله: "**مع صباح يوم السبت نهضنا من نومنا دخلنا مدينة "عين قزام" أو كما يحلو للبعض منا تسميتها "مارسيليا ليكاماراد"، الطقس معتدل، تسللنا عبر الشارع الوحيد للمدينة، البيوت أكثرها طينية، قليلها إسمنتية، الطريق شبه معبد، وجوه من الطوارق باللثام**"[2].

وعليه فإن اللثام رمز للرجل الطارقي مهما اختلف تواجده، يبقى محافظا على لثامه ومقوماته، فاللباس الصحراوي عامة والطارقي خاصة بطاقة هوية ثقافية، كما أنه علامة سيميائية للإنسان الطارقي.

أما بالنسبة للنساء فهن لا يلبسن السراويل كما هو الحال في المدينة، بل يتميزون بلباس الملاحف ذات الألوان المزركشة ويظهر ذلك في قول **(مامادو)**: "**...وملحفات نسائهم المزركشة، هي الأخرى تتناسل**"[3].

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص129.

[2] المصدر نفسه، ص310.

[3] المصدر نفسه، ص310.

2.1. الزينة:

أولت الرواية أهمية معتبرة لعنصر الزينة لما لها دور في تحديد الملامح الثقافية للشعوب، وكذا تحديد هوية الفرد والكشف عن البيئة الطبيعية والاجتماعية، كما أنها تعكس طرق تفكير المجتمعات ومعتقداتهم، فالزينة الإفريقية تتميز بتنوعها، إذ تعتبر جزءا من التراث الثقافي الإفريقي الغني والثري تاريخيا، كما أن الزينة رمز للمحافظة على الموروث الحي والدائم، حيث أن لها أبعاد كثيرة منها ما هو عقائدي، وفكري، سياسي، وتاريخي وغيرها، حيث ظهرت العديد من مظاهر الزينة في الرواية من بينها القرط والوشم وغيرها.

1.2.1. القرط:

احتفظت نساء إفريقيا بعادات قبائلهم في الزينة، فوالدة **(مامادو)** تتميز عن نساء "**قمكلي**" بالقرط الذي ورثته عن قبيلتها حيث يقول **(مامادو)**: "**وليس لأمي خصوصية ظاهرة تميزها عن نساء "قمكلي" سوى قرط حديدي رازي مغرز فتحة أنفها سيف اليمين قالت إنها عادة من عوائد نساء قبيلتها "بوروورو" التي تقطن نواحي مدينة كوني**"[1].

فأم **(مامادو)** هنا رمز للحفاظ على التراث منذ القدم فهي ورثت القرط عن قبيلتها، وهذا ما جعلها تتميز عن غيرها من نساء "**قمكلي**"، كما أن لهذا القرط بعد آخر وهو التزين وعادة من عادات الإفريقي التي يراها من جماليات المرأة من خلال الزينة والحلي والتي توضع للمرأة منذ الصغر للفت الانتباه وشد الأنظار وذلك بوضع القرط على الأنف.

وبهذا فالزينة هنا مثلت دور الهوية الفردية للشخص الإفريقي وانعكاسها على معتقداته وطرق تفكيره.

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص40.

وفي موضع آخر يقول **(مامادو)**: "**دق الباب الخشبي، خرجت (سلامتو) والدة (مامادو)، بقرطها المميز، الغرز في أنفها، كانت مشيتها ترقص من الفرح برجوع ابنها (رفيقي) [حيا]**"[1].

حيث وصف **(مامادو)** أمه وما تتميز به وهو ذلك القرط المغرز في أنفها، وهذا ما يعكس لنا اختلاف سكان إفريقيا عن غيرهم من المجتمعات، وكذلك رمز للهوية يبين ثقافة ذلك المجتمع واعتقاداته.

2.2.1. الوشم:

نجد من مظاهر الزينة التي وظفها **(الزيواني)** أيضا ظاهرة الوشم، والذي يعتبر هو الآخر شكل من أشكال التعديل الجسدي حيث يضعونه بغرض التزين، فالوشم في إفريقيا جزء من الثقافة لديهم، ويظهر ذلك في الرواية من خلال حديث **(مامادو)** عن نفسه ويذكر أن رفاقه كذلك يضعون الوشم، وهذا دليل على أنه خاصية تعم إفريقيا تُميز أفرادها عن غيرهم فيقول: "**أما أنا فقد ضحكت عن نفسي كثيرا عندما رأيت وجهي في شظية مرآة صغيرة وجدتها بدار جارنا (موطاري) والد (رفيقي إدريسو) قبل موته بسبع سنين، وأتصور هذا المحيا كما لو أني أراه الآن أمامي، وجه شقي رسمت عليه ثلاث وخزات أفقية على الوجنة اليمنى، ما يقابلها جهة الشمال، بقدر بنان الإصبع كنت قبل هذا أتحسس نعومتها، واختلاف موقعها عن باقي ملمس وجهي الطريف أني كنت أبصرها على بعض وجوه أندادي من قبيلتنا، لكن لم يدعني الأمر للضحك إلا عندما رأيتها على هذا الوجه الموغل في التطير**"[2].

فالوشم ظاهرة لازمت المجتمعات الإفريقية فكانت بمثابة شكل من أشكال الزينة لديهم، فلا يخلو جسم إفريقي من هذا الوشم حيث أنه يعبر عن هويتهم وثقافتهم منذ القدم، أما **(مامادو)** فقد استدعاه الوشم إلى الضحك والسخرية من وجهه وقد كان ذلك بسبب الاختلاط

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص28.

[2] المصدر نفسه، ص40.

والاحتكاك بالثقافات الأخرى، حيث لم يجد ظاهرة الوشم منتشرة بكثرة كما هو الحال في بلده، مما دفعه إلى التساؤل **هل هذا الوشم يدل على هويتي؟**، كما أنه يرى في وجهه نوعا من التطير لذا فقد كان مظهره مضحكا.

وعليه فإن المجتمع الإفريقي كغيره من المجتمعات له خصائصه ومميزاته التي تميزه عن غيره، والتي تجعله فريدا من نوعه يعتز بها، ويسعى للاحتفاظ بها، وترسيخها لأبنائه بغرض بقائها وعدم اندثارها، وفي ذلك رمز للهوية والثبات والبقاء على الثقافات السابقة، رغم تغير الزمان وتعدد الثقافات فهي ثابتة على عاداتها وتقاليدها التي تمثلها على أرض الواقع.

2) الأكل والشرب:

يعتبر الأكل والشرب من بين العناصر الأساسية في حياة الإنسان، كما يعدان من أهم العادات والتقاليد التي تتصل بالحياة اليومية للفرد، حيث تمثل الأطعمة بالنسبة له جزءا أساسيا من الهوية الثقافية والشعور بالانتماء لجماعة ما.

فالطعام ميزة تميز كل مجموعة عن الأخرى وفقا لعاداتهم ومعتقداتهم ومن خلاله يمكننا معرفة تفكيرهم، فلكل شعب طقوسه في المأكل والمشرب والتي ورثوها عن أجدادهم، لذلك تسعى الأنثروبولوجيا للكشف عن هذه العادات والتقاليد الممارسة من طرف المجتمعات، حيث يشكل المأكل والمشرب موضوعا هاما من حيث ما يتخلله من ممارسات ثقافية ذات طابع طقوسي، إضافة إلى ارتباط إعداد الطعام في أغلب الثقافات بتيمة الهوية والانتماء الثقافي لدى الإنسان وتسعى أيضا للكشف عن طبقات المجتمعات، كما أن الطعام يختلف باختلاف الظروف ما فيها الاجتماعية، الدينية، وحتى الطبيعية والتي غالبا ما شكل الغذاء الجسر الواصل بين الثقافة والطبيعة.

1.2. الأكل:

يعد الطعام محورا أساسيا في الإحساس بالهوية إذ يساعد على تعزيز الجماعة الإنسانية وتراتبها وتنظمها، كما يعمل الطعام على الفصل بين الجماعات وإبراز مميزات مجتمع

عن الآخر، بحيث تحكمه عادات وتقاليد وفقا لمعتقدات موروثة عن الأجداد والآباء، كما أنه للعوامل الاجتماعية والنفسية تأثير على عادات الناس واختيارهم للطعام، وهذا ما يبرز طريقة تفكير الأشخاص وثقافاتهم.

وربما هذا ما جعل **(الزيواني)** يهتم بالطعام باعتباره رمز من الرموز الموحية والمعبرة عن حياة وتقاليد المجتمع، حيث عمل على إبراز مكونات الأكل، وعادات الطعام عند الصحراويين وخاصة الأفارقة، وطرق ومراسيم إعداده، وحتى التوابل المستعملة، فكانت هذه الأطعمة كبطاقة هوية وأيقونة تراثية معرفية، تعكس وتبرز اختلاف المجتمعات ثقافيا وطبقيا فمثلا مع المخرج السينيمائي (جاك بلوز) والذي أحدث لنا مفارقة بين الرفاهية التي تعيشها المجتمعات المتقدمة، والمنفتحة على الأكل العصري، وبين البؤس الذي يعيشه مجتمعات إفريقيا.

يقول **(الزيواني)**: "**طلب مقبلات مع بطاطس محشو، شريحة لحم مشوي، عصير أناناس دوريجيني، مشروب روحي أحمر**"[1]، فطلبات المخرج توحي بثقافته المرموقة، وعلى هويته والتي تستدعي التفنن في كل شيء، باعتباره من مجتمع راقي متقدم ومتحضر، فقد كان على قدر كبير من الراحة في تناول طعامه، وحتى في اختياره.

كما نجد المطبخ الإفريقي هو الآخر حاضرا في طيات الرواية، بحيث عمل **(الزيواني)** على وصف أصناف الطعام الإفريقي وصفا دقيقا، فكان لكل طعام طقوسه وخصائصه التي تغلب عليها الظروف الاجتماعية والطبيعية التي تقتضيها الحاجة، وبما أن الرواية تتحدث عن الهجرة غير الشرعية كان لابد من انعكاس ظروف هذه الهجرة على الطعام والذي يكون حسب حاجة الإنسان وما توفر له خلال هجرته، فكانت أغلب الأطعمة التي ظهرت في الرواية خلال مسيرة الهجرة أقل ما يقال عنها أبسط ما يكون، لا ترتقي أن تكون وجبة كاملة لشخص عادي تتكون من مكونات بسيطة، فكانت هذه الأطعمة لسد الجوع فقط،

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص24.

حيث يقول الكاتب: "**ويقطع مع المهرب الكسرة إلى شظايا صغيرة في الصحن، أفرغ عليها مرق القدر، خلطها بالملعقة الوحيدة حتى ارتوت**"[1].

فالملاحظ أن هذه الأكلة هي ملجأ المهاجرين لسد ثغرات جوعهم خلال طريقهم المليء بالتعب والمخاوف، فلا وجود لحل آخر إلا تناول مثل هاته الأكلات التي تعتبر أبسط ما لديهم، ونجده كذلك يحدثنا عن أكل المهاجرين نماذج أخرى مثل قول الكاتب: "**أخرج من تلك الخزانة كيسا صغيرا من الدقيق وقارورة زيت بسعة اللتر، قديدة لحم، صب الماء من الجالون الكبير في الإناء**"[2].

ومنه فقد اعتمد المهاجرون الصحراويين على طعام بسيط، ذو تكلفة قليلة تساعدهم في تكملت طريقهم، وسد جوعهم للحفاظ على البقاء، فهاته الأطعمة جزء من عادات المهاجرين عندهم منذ القدم، لذلك أراد **(الزيواني)** إبرازها لإعطائنا لمحة عن تراثهم وعاداتهم، فكان بذلك الطعام رمزا من رموز هويتهم وطرق تفكيرهم في تلبية حاجياتهم الطبيعية.

1.1.2. كسرة التاقلة:

حاول **(الزيواني)** استحضار التراث الشعبي مرة أخرى، ورمزًا من رموز الثقافة الشعبية عامة والصحراوية "**التارقية**" خاصة من بينهم الأطعمة التي تحدث عنها الكاتب كثيرا، والتي تعتبر كسرة تراثية أصيلة يعتمدها الطوارق كجزء أساسي في طعامهم، حيث أصبحت جزءا من كينونتهم تستدعيها الذاكرة مهما ارتحلوا في صحرائهم الشاسعة، كما يمكن النظر إليها كأداة إنقاذ ووسيلة للنجاة، في متاهة الصحراء، فوصف الكاتب هاته الكسرة وصفا دقيقا وفصل في طريقة طبخها فيقول: "**أمال (أليكس) الدقيق نحو الصحن، شكَّل خروج الدقيق منه شلالا، كشلاَّل ذلك السكر...لت هذا الأخير الدقيق، قال (لأليكس) و (إدريسو) اللَّذين كانا يعاونانه، إنه سيضع لنا كسرة " التاGلَّة" بعدها ترك الطارقي العجينة مكورة في الصحن ...التفت**

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص138.

[2] المصدر نفسه، ص136.

للعجينة المكورة، التي تكون قد شاحت قليلا...قطَّر عليها قليلا من الماء من بين أصابعه، أعاد عجنها وتشكيلها من جديد، طبطبها قليلا براحة يده اليمنى في قاع الصحن، حتى عادت الكسرة عجين، حملها في تلك الوضعية بمهارة فائقة...ألقاها وسط الرماد، أزاح عليها شيئا من الرَّماد الساخن بذلك العود"[1].

فهنا يظهر مدى مهارة الطارقي، في إعداد كسرة "**التاقلة**"، فهي ليست مجرد نوع من الطعام، بل نشاط حياتي يتكرر باستمرار كلما سافر الرجل الصحراوي وارتحل يؤدي وظيفته بشكل فعال متناسب مع الطبيعة وما تستدعيه، وهذا ما يقال عنه التواصل بين الإنسان والطبيعة، فهذه الحيثيات والخطوات التي تقوم عليها عملية طهي الكسرة التاقلية تعالج الهوية والنمو الفكري والثقافي في المجتمع الإنساني الصحراوي الذي يصارع تظاهرات الثقافة الوافدة عليه البعيدة كل بعد عليه محليا وتاريخيا، إلا أن الرجل الطارقي بقي محافظا على تراثه وهويته وهذا ما انعكس على طعامه فكان على قدر كبير من الثبات والاتزان في التعامل مع طبيعته للحفاظ على مقوماته التي تعتبر رمزا من رموز مبادئه الأزلية التي لا تزال لحد اليوم.

كما كان للطعام دلالة على الحالة الاجتماعية للإنسان وانعكاس لهويته وعاداته وتقاليد مجتمعه، حيث بين لنا **(الزيواني)** في الرواية مدى شقاء وبؤس المجتمع الإفريقي الصحراوي، والذي كان ظاهرا بصورة كبيرة في وجباتهم التي تنحصر في أنواع قليلة بمكونات قليلة بسيطة تعكس بساطتهم الاجتماعية فمثلا في قول **(مامادو)** بطل الرواية:" **التمر التواتي الأحمر اليابس، اشترى كل واحد منا حقه يد من تمر "تلمسو" الأحمر الغامق، هذا النوع سيدي المخرج...هو تمر البؤساء في النيجر ومالي...**"[2].

فالتمر التاوتي هنا هو الوحيد **(للمامادو)** ورفاقه وهو تمر البؤساء في النيجر ومالي، فهو يعكس مدى بؤس وشقاء شعب مالي وطبقتهم الاجتماعية الشبه منعدمة، فما كان عليهم

---

(1) الصديق الحاج أحمد، **كامارد رفيق حيف والضياع**، ص137.

(2) المصدر نفسه، ص110.

إلا التأقلم مع الأوضاع الاجتماعية، وذلك باشترائهم مجرد حفنة يد من تمر البؤساء، وهو حال أغلبية سكان النيجر ومالي، فهذا النوع من التمور كان منذ القدم نظرا لتدهور الأوضاع الاجتماعية لديهم.

كما لا نجد تنويعا كبيرا في الطعام، ففي أغلب الأحيان طعامهم مكون من الذرة ومشتقاتها والحليب، وهذا راجع إلى طبيعة البيئة التي يعيشون فيها، وكذا الظروف الاجتماعية القاسية التي لم تفتح المجال أمامهم للإبداع والتنويع في أصناف الطعام، فكانت معظم الأطعمة المطبوخة رمزا من رموز عاداتهم وتقاليدهم التي ورثوها عن أسلافهم منذ القدم، حيث يقول **(مامادو)**: "**بعد نصف ساعة وعاد لنا (كايطا) بقدر غاية في القدم يفور بمعجون الأرز هذا الأخير أبيض كما خلقه لله...لا محمرات، لا توابل، اللحم غائب هو الآخر، وضعه وسطنا أتى بصحن قديم لا لون له، أفرغ فيه ما بالقدر، كان أرز متماسكا معجونا مع بعضه**"[1].

وصف **(مامادو)** حالة الفقر التي كانت تتبعهم أينما حلو، فحتى القدر الذي يطبخ فيه أكلهم غاية في القدم، وهذا دليل على الحال المتدني في أبشع صوره، حتى التوابل واللحم لا وجود لها في أكلهم، وهذا انعكاس لحقيقة المجتمع وإعطاء صورة واضحة المعالم لكل تفاصيله، وخاصة تلك المتصلة بمسألة الهوية، وفي أكلة الأرز قدم لنا **(الزيواني)** هوية الإفريقي ونمط معيشته، فكان "**الأفارقة**" بمكونات بسيطة يطهون ويتقوتون رغم ظروفهم الصعبة وهذا بفضل ما تعلموه وألفوه عن أجدادهم، وأسلافهم، فبقوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم، وحتى طريقة جلوسهم واستقبالهم للطعام، وهي من بين الطقوس التي ألفها الإفريقيين أوقات وضع الطعام بقول **(مامادو)**: "**تحلق الرفاق في حلقاتهم المعهودة، ملاعقنا دائما معنا، وضع الرفيق الصباح الصحن وسط المجموعة، أرز مسقي بمرق أحمر، تفوح منه بهارات سنGالية عطرة...قطعة اللحم فوقه دائما وبنفس المقدار، طعمه لذيذ...صدق أو لا تصدق، الحال كما الصرف الصحي بالعاصمة "نيامي" سيدي المخرج، قل هو ضرب من الخيال أو**

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص206.

من الجنون، المهم هي المرة الأولى التي أذوق فيها طعاما ساخنا مرقه أحمر بالطماطم المصبرة"[1].

فالصحراويون لا يختلفون عن عادة تكوين حلقات في مجالس الأكل، وهي ظاهرة وعادة اجتماعية منذ القدم تعكس لنا ثقافتهم، وطرق تفكيرهم، وحتى هويتهم، وكذا ظاهرة حمل الملاعق أينما ذهبوا وهي الأخرى عادة يتميز بها الأفارقة عن غيرهم منذ القدم، كذلك لمح **(الزيواني)** على أن للسنغاليين بهارات خاصة بهم حتى نعتها بالبهارات السنGالية العطرة، وفي ذلك إبراز لتفرد وتميز السينغاليين عن غيرهم بمكونات طعامهم وهذا دليل على أن لكل مجتمع ثقافة تخصه وتميزه عن غيره.

نلاحظ مما سبق أن الأكلات الشعبية كان لها دور كبير في إثراء الرواية، باعتبارها تراثا شعبيا يميز مجتمع وفئة عن الأخرى، فاستطاع الكاتب من خلالها أن يحمل لنا ثقافات متنوعة من شعب الطوارق وبساطتهم، وما تستوجبه الطبيعة وظروفها والتي هي عامل من عوامل بروز الطعام وتنوعه.

2.2. الشرب:

1.2.2. الشاي:

يشكل الشاي ظاهرة سوسيو ثقافية في العديد من المجتمعات وعلى رأسها المجتمع الإفريقي، وقد أولى الروائي أهمية كبيرة لهذا المشروب، فوصفه بكثرة في نصه فهو أولا علامة الضيافة فيقول: **"أحضر الرفاق المضيفون، صينية الشاي كونّ حلقات داخل المرقد، الرفيق الأخرس قام بإعداد طقوس الشاي"[2].**

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص320.

[2] المصدر نفسه، ص313.

فالشعب الإفريقي أو بالأحرى الصحراوي له تقديس كبير للشاي وكأنه شراب ملكي يعطونه حقه وأكثر، فيكونون حلقات ويقومون بإعداد طقوسه، فهو رمز للضيافة، وحسن الاستقبال، وتبادل الكلام، وتظهر تفاصيل طقوس الشاي أكثر دقة في الوصف من خلال قول **(مامادو): "أرى الأخير قد أتم رشّ الماء على أرضية المجلس وبالكاد ينهي بسط الحصيرة السعفية على الأرض، وضع صينية الشاي النحاسية المستديرة وسط المفروش، حيث صفت في تلك الأخيرة فناجين الشاي الزجاجية الشفافة مقلوب، يرقد بينها كوب كبير مقلوبة هو الآخر مثلها، ركن إلى جنبها إبريق حديدي أزرق صدئ لطبخ الشاي"**[1].

فللشاي مستلزمات وأوان خاصة كالصينية التي يفضل أن تكون من النحاس والكؤوس الزجاجية الشفافة، فوضع وترتيب صينية الشاي ليست عبثا بل هي طريقة لابد منها، وهي طقس من طقوسهم وقد تعارف وتوارث عليها الصحراويون جيلا بعد جيل، إضافة إلى الديكور الذي لابد منه في التهيئة أثناء عملية تحضير الشاي، وقد تبدوا هذه الخطوات لنا أمرا بسيطا أما بالنسبة لهم هي جزء من مراحل صنع الشاي وإن أُهملت فقد الشاي معناه، وبذلك فالشاي في الصحراء يحظى بقدسية كبيرة وهو ما يتميز به أهل الصحراء عن المجتمعات الأخرى، فالشاي بالنسبة لهم هوية وعادات موروثة، كما أنه بعد ثقافي اجتماعي كونه يمثل الشعوب الصحراوية، ويؤصل هويتهم، وعاداتهم الثقافية.

ونجد في موضع أخر **(مامادو)** يقول: **"ارتشفنا شاينا الصباحي مع تناولنا الخبز الحافي كالمعتاد"**[2].

وفي القول دليل أن الشاي عادة من عادات أهل الصحراء لابد منه، فهو من تقاليدهم الموروثة، فبقوا محافظين عليه فلا يصح صباحهم من دون تناول الشاي، وكأنه مصدر القوة

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص 38-39.

[2] المصدر نفسه، ص81.

التي يتزودون بها لتكملة يومهم، وهو بهذا الشراب الإفريقي الذي يعكس ثقافة الشعب الصحراوي والذي يتميز بمظاهر الثبات والحفاظ على الهوية.

2.2.2.شراب Gورو G ورو:

تجاوز هذا المشروب البعد السوسيو ثقافي عند الشعوب الإفريقية إلى البعد التاريخي كونه المشروب الذي صنعه سجناء التمييز العنصري بجنوب إفريقيا ويتبين ذلك من خلال قول الكاتب: "**إنه المشروب الروحي لشعب ليكامارادیا رفيقي... منه مشروب "Gورو G ورو" اخترعه سجناء التمييز العنصري بجنوب إفريقيا قبل خمسين سنة، يصنع من تخمر بقايا اللباس المتسخ والجوارب المعكرة**".[1]

فقد صنع هذا المشروب حسب المعتقدات للهروب من الأوضاع المزرية بحثا عن الحرية، ويعكس لنا الشخصية الإفريقية والتي يعاني معظم مجتمعاتها من القساوة والتهميش في الغربة، فيعيش آلامه داخل وطنه وخارجه، حيث ينتج مثل هذا المشروب عند اللجوء والهجرة، فمشروب "**Gورو G ورو**" بمثابة وسيلة للهروب من أوضاع الحرمان ومظاهره، والبحث عن الهوية المفقودة أثناء شق رحال الهجرة، فيكون الهدف في رحلتهم هو البقاء الجسدي، والمعنوي، حيث يقول **(مامادو)** ورفيقه: "**زهو عارم والله... ولم نحس بدوار، بمعنى الدوخة، التي تجعلك تسير متمايلا...، إنها أحسن بابتهاج داخلي يغمرنا، شعور بالفرح**"[2].

فالأفارقة يجدون مشروبهم ابتهاج وفرح مبتعدين عن الحقيقة المرة التي تجعلهم في الحضيض، غارقين في أحلامهم لفترة وجيزة يستيقظون منها بمجرد زوال أثر المشروب ليعودوا إلى حياتهم الضنكة المليئة بالتهميش، والفقر، والحرمان، كما نجد أن في هذا المشروب إحياء للتراث لأنه مشروب من القدم ولا يزال محافظا على طعمه المقزز والمصنوع بنفس المكونات.

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص219.

[2] المصدر نفسه، ص223.

3) الرقص والغناء:

تعكس حياة الرقص والغناء الشعبي تاريخا طويلا قديما قدم حياة الإنسان، حيث ارتبط "**الرقص والغناء**" بطقوس كثيرة كالزواج، والولادة، وحتى الاستعداد للحروب والانتصار فيها، كما أن كل الشعوب تمتلك رقصتها القائمة على معطيات إيكولوجيا للمحيط الذي تعيش فيه، أو أنساق حياتها الاقتصادية من زراعة أو رعي أو غيرها لينعكس ذلك على رقصتها وغنائها، وبمرور الوقت أصبح "**الرقص والغناء**" للترفيه والطرب وغيرها، حيث يختلف من شعب إلى أخر باختلاف الثقافات والمعتقدات وحتى العادات والتقاليد والتي تخضع لظروف اجتماعية، ودينية، وبيئية، باعتبار أن للطبيعة والمحيط المعاش فيه أثر كبير على ثقافة الإنسان وانعكاسها على إبداعاته وطرق تفكيره بما في ذلك "**الرقص والغناء**" اللذان يعتبران من الموروثات الشعبية التي كانت منذ القدم إلى الآن.

1.3.الغناء:

يعتبر الغناء من الفنون والتراث الشعبي الذي يميز كل بلد عن الأخر باختلاف تفكيرهم، ومعتقداتهم، وحتى ظروف حياتهم، فهو عبارة عن مرآة عاكسة لطبيعة الحياة جميلها ورديئها، فيعمل صاحب الأغنية على استيحاء كلماته من البيئة المعاشة والظروف الملمة به وبمجموعة أفراده، كما أن للغناء جانب ترفيهي يبعد الإنسان عن طبيعته أو بيئته المليئة بمشاكل الحياة، ويلفي المتأمل للرواية أن هناك الكثير من ملامح الغناء في طياتها، وذلك من خلال أغنية الراي للشاب الجزائري **(خالد)** فيقول **(مامادو)**: "**الموسيقى كانت خفيفة، إيقاعها عجيب، ما سمعته من كلماتها العربية الدارجة، ولم أفهمها في حينها :المستقبل مسدود. ما أبقى في الدوق حتى بنة.**

الحوت ولا دود"[1].

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص186.

فلعل أهم ما أراد **(الزيواني)** تنبيهه هو أوجاع وآلام الحراقة، وأوضاعهم المزرية والقاسية في بلادهم الأم، وفي هذا تعميم على أن الحالمين بالفردوس أو بالجنة كما يصنعها البعض لا تحتكر على الأفارقة أو الصحراويين فحسب بل حتى الجزائريين، فمعظم الشباب مستقبله مسدود وفي هذا أيضا انعكاس لثقافة المجتمع، وارتباطهم في الحلم الواحد ألا وهو بلوغ الضفة الأخرى، وهذا ما كان منذ القدم ولا يزال إلى يومنا، فهنا كان الغناء أو كلماته انعكاس ثقافي لما يحصل في المجتمع الإفريقي، ليبرز به تفكير الشباب وطموحاتهم للهروب من الواقع المر.

ونجد كذلك مظاهر الغناء في الرواية، حيث كان من بين طقوس المجتمع الإفريقي عامة والنيجيري خاصة فلا يخلو مجلس من مجالسهم إلا وفيه أنغام وموسيقى لأشهر المغنيين لديهم، ويظهر ذلك من خلال قول الكاتب عند ذهاب العامل الفندقي إلى البحث عن **(مامادو)**: **"وجد القوم متحلقين بالعائد، يشربون الشاي، رفقة مسجلهم الأسود العتيق... يسمعون موسيقى المغنية النيجيرية (فاطي ماريكو)"**[1].

فالغناء بالنسبة للشعب الإفريقي كالدم الذي يسري في العروق، له طقوسه وجلساته فيقدسونه أكثر من أي شيء لديهم، وهو "**الغناء**" عبارة عن عادة من عاداتهم، فلا يخلوا مجلس من الغناء، وخاصة بسماع غناء المغنية النيجيرية **(فاطي ماريكو)**، وفي هذا ترفيه وابتعاد عن الحياة المملة، وحياة البؤس، والفقر، والشقاء، اللذان يخيمان على المجتمع الإفريقي، وبذلك فالغناء كان رمزا من رموز الهوية الإفريقية باعتباره ثقافة موروثة من القدم أبا عن جد، فكان "**الغناء**" متنفسا للشعوب والمجتمعات على مر عصورها متقاسمين همومهم وآلامهم.

2.3.الرقص:

يعرف الرقص على أنه مجموعة من الحركات الجسدية التي يؤديها الإنسان، وللرقص قيم جمالية ورمزية عميقة من حيث الزمان، والمكان، والجهد، وهو "**الرقص**" نشاط عضوي

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص28.

ووجداني معقد، مؤطر ثقافيا ومُنَمَّطْ اجتماعيا، يختلف من مجتمع لآخر باعتباره سلوك ثقافي اجتماعي، فلكل مجتمع عاداته وتقاليده وحتى نمط تفكيره في التعبير عن فرحه وحزنه وغيرها، وهذا ما اشتهر به شعب إفريقيا، حيث اعتبر الرقص ملاذه الوحيد للتعبير عن ما يختلج نفسه من فرح وسعادة وحتى أحزانهم "**الشعب الإفريقي**"، وهذا ما يظهر في الرواية **(للزيواني)** من خلال قول الكاتب: "**أخرج الرجل الأشقر ورقة (5000 فرنك سفا) أعطاها لصاحب التاكسي، همَّ هذا الأخير بالبحث في سيارته لإرجاع الصرف الباقي للمخرج... أشار له بيده أن أترك ما بقي عندك !! أضاء وجهه الداجن بياض أسنانه ثانية... رقص سائق التاكسي رقصة خفيفة، عبرت لغة جسده عن هزه الفرجة، وهو يردد عبارة الفرح بلهجة القبائل(الهوسا) (Gاي شيكا...Gاي شيكا)**".[1]

فصاحب التاكسي من شدة فرحه بالمبلغ الذي ناله من المخرج **(جاك بلوز)** كان الرقص هو ملجأه للتعبير عن سعادته التي لا توصف، فكان الرقص جزء من تفاصيلهم التي تحاكي أفكارهم وثقافتهم داخل حيزهم الجغرافي الذي يتشاركون في ثقافتهم.

ونجد كذلك في قول الكاتب: "**أخرج المسحور ورقة (1000 فرنك سفا) أعطاها لعامل الفندق..."هذه لي مون باطرون؟" "oui مون كاماراد..." رقص العامل رقصة مشابهة لرقصة سائق التاكسي، ردد من خلالها "أنا فرحان" بلهجة قبيلة "زرما" وهو يقول أثناء حفلة الرقص: (أي صابو...أي صابو)**"[2].

فالرقص شيء أساسي عند الأفارقة نجدهم يعبرون به عن كل ما يختلج أنفسهم، فالسائق والعامل عبرا عن فرحتهما بالرقص بلغة مختلفة لكن الهدف واحد وهو إظهار الفرح، لذا فالرقص ثقافة واحدة تخص الشعب الإفريقي يعبرون بها عن أفراحهم وعن أحزانهم في

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص 21.

[2] المصدر نفسه، ص26.

بعض الأحيان، وهذا النوع من الفنون يميزهم منذ القدم، أي أنه وراثة عن الأجداد والأسلاف، حيث يعتبر "**الرقص**" من هوياتهم وعاداتهم المتأصلة لديهم.

وفي موضع أخر يقول الكاتب عندما همس **(جاك بلوز)** في نفسه فيقول: "**الأفارقة يحبون الرقص حتى في مظاهراتهم يمارسونه، استدعت ذاكرته أيام التمييز العنصري ورقص شعب الزعيم (نيلسون مانديلا) خلال انتفاضته ضد نظام بريتوريا العنصري**"[1].

وعليه فإن الأفارقة يتميزون عن الشعوب الأخرى بالكثير من الصفات من بينها الرقص والغناء اللذان أصبحا رمزا من رموزهم، وهوية تبرزهم عن غيرهم باعتباره "**الرقص والغناء**" خاصية اختص بها شعب إفريقيا، تظهر أفراحهم وأحزانهم لتعكس شعور الفرد للأخر.

فكانت الأغاني والرقصات داخل الرواية هي تصوير للحياة الاجتماعية، ولواقع الناس اليومي في أعمالهم، وأفراحهم، وعلاقاتهم ببعضهم، فالرقص الإفريقي مليء برموز الهوية التي تؤدي وظيفتها فهي **(هوية الإفريقي)** مشحونة ومعبأة إيجابيا تستثير الإفريقي بعواطف قوية إيجابية مثل: الفرح والمسرات.

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص25.

ثانيا: تجليات الأنثروبولوجيا الدينية في الرواية

تعتبر الأنثروبولوجيا الدينية مدارسة معمقة للشعوب ومعتقداتهم وكيف تعمل هذه المعتقدات في التشكيلة الثقافية لشخصية الإنسان في المجتمع المعني، حيث يهتم علماء الأنثروبولوجيا الدينية بالإثنوغرافيا والإثنولوجيا العلمية، والمنهجية لتحليل المعتقدات الدينية، والممارسات، والمؤسسات، والجوانب الأخرى المرتبطة بها

ونجد أن **(الزيواني)** في روايته أشار إلى مجموعة من الطقوس والسلوكات التي لها بعد أنثروبولوجي ديني، وقد سُئِلَ عن مبررات توظيف هذه الطقوس والعادات في الرواية فأجاب قائلا: "**المجتمع الإفريقي الزنجي مجتمع طقوسي أسطوري عجائبي بامتياز ولذلك فمن غير المعقول أن تكتب رواية عن إفريقيا خالية سببية التمائم والأسطرة أو الرقص مثلا لأنها مرتبطة بذهنية الإفريقي**"[1].

فالمتلقي لإحداث الرواية يتقاطع مع الشعائر الدينية عبر أوجه متعددة سواء في الخطاب أو الفعل، وإذا ما عدنا إلى بعض الطقوس والصيغ الدينية الموجودة داخل الرواية وبكثرة نجد:

1) شعيرة الصلاة:

من أكثر الشعائر الطاغية بحضورها داخل المتن الروائي، عند التحدث عن شعيرة الصلاة من الناحية الأنثروبولوجية بالضرورة يجب أن نتحدث عن إسهامات عالم الاجتماع الفرنسي **(مارسيل موس Marcel Mouss)** الذي اهتم بمشكلة المقدس وعلاقته بالنظام الاجتماعي، خاصة في كتابه "**سوسيولوجيا الصلاة**" ففي تحليله وتفكيكه لبنية الصلاة يرى

---

[1] الروائي الصديق حاج أحمد في حديث لـ "أشرعة"، جريدة الوطن https://alwatan.com، ماي 2016، 12.32، عمان.

(موس Mouss) أنها تتكون من شيئين أساسيين : **"تتكون من الطقوس ومن نمط الاعتقاد فباعتبارها طقسا فيفسرها (موس) على أنها سلوك وفعل أنجز ووجه إلى أشياء مقدسة، وباعتبارها عقيدة Gredo فيعتبر الأفراد من خلال قيامهم بفعل الصلاة عن أفكار ومشاعر دينية وبالتالي ففعلا التصرف والتفكير مرتبطان غير منفصلان"**[1].

وبالرجوع إلى رواية **"كاماراد"** نجد أن **(الزيواني)** قد بين تباين الدول الإفريقية في ممارسة شعيرة الصلاة فنجد في حديثه عن **(مامادو)** و **(إدريسو)** النيجيريان الجنسية يقول: **"في صباح اليوم الموالي نهضنا على همهمة الرفاق، الشمس لا زالت تنشر أشعتها في الأفق البعيد عروق الرمال تشكّل التضاريس المكانية، من كان ساهيا وتذكر الصلاة من أمتنا تيمم وصلي"**[2].

يتضح لنا من خلال هذا القول التزام الرفاق النيجيريين بالصلاة، حيث أن البعض منهم كان يحملون في أيديهم مسبحات يخرجون بها حتى للعمل لتقواهم وخشيتهم من الله.

ضف إلى ذلك اعترف **(كايطا)** لـ **(مامادو)** في معرض إجابته عن سؤال هذا الأخير بخصوص غياب مواطنو النيجر عن قائمة المناصب والتشريحات لقيادة المعسكرات الكامارادية إذ يقول: **"أنتم النيجيريون، محافظون، محافظون غير متحررين"**[3]، بينما كان يصف **(الزيواني)** الشعوب الأخرى كالكاميرون، وساحل العاج، بالتحرر والتمرد.

---

(1) عبد الرحيم بوشاقور، حبيب بوسعادي، **الطقوس الدينية الإفريقية في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع–قراءة لسانية أنتروبولوجية**، مجلة أنتروبولوجيا الأديان، جامعة تلمسان، الجزائر. مجلد16، العدد02، 2020/06/15، ص446.

(2) الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص145.

(3) المصدر نفسه، ص270.

2) خاصية التبرك والصلاة على النبي:

تعد خاصية التبرك والصلاة على النبي من الركائز الثقافية التي لها خلفية دينية، نجد أنه كان لها حضور واسع في الرواية، حيث ترددت الصلاة على النبي في العديد من المواضع في الرواية وبعبارات مختلفة نذكر من ذلك الحوار الذي دار بين عم **(مامادو)** الملقب بـ **(بامبا)** و"**المشتري**" أثناء بيعهم البقرة **(بكتو)**: "**أعطيك 170000 فرنك والصلاة على النبي...** " ثم قال له المشتري: "**في كلام قاطع لا ردّة بعده وهو يبسط يد المصافحة لعقدة البيعة**" ("**175000 فرنك سفا**" **وبالنبي صلينا...**)"[1].

وبالتالي فقد شاع بين المسلمين ذكر النبي وصلاتهم عليه سواء في مجالسهم أو في معاملاتهم التجارية وكانت هذه الخاصية تنتشر بشكل كبير في المناطق الصحراوية، وإفريقيا، ما وراء الصحراء، خاصة دولتي" **النيجر**" و"**مالي**".

3) الإغراق في تقديس الأساطير والمرويات الغرائبية:

كشفت طريقة الحياة الإفريقية عن المعتقدات التي تعكس بساطة وسذاجة التفكير الإفريقي الذي مازال يتكئ على الغيبيات والأساطير، ويرتكز إليها قصد تغطية عجزه أمام ما يواجهه من ظروف الحياة، ونجد أن الشخصية الإفريقية تعتمد على هذه المرويات بشكل كبير في توجيه الأفكار من ذلك قول **(الزيواني)** على لسان **(مامادو)**: "**تقول الأسطورة التي روتها لي أمي عن أبي (بوريما) أن جدي (غندا) عندما هاجر من قرى مدينة "دوصو" قبل سنتين بعيدة وجاء إلى نيامي بعد قحط هناك استقر مع غيره من المهاجرين على ضفة النهر، حيث مارسو الصيد في تلك الأيام الخوالي حتى جاءهم عام كبيس كاد النهر أن يجف معه**

[1] الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص85.

ما أضعف الصيد واشتكى فيه الصيادون (لدوكو) فرعون"[1] ، هذه هي أسطورة **(دُوكو)** فرعون النهر التي ما هي إلا قصة خرافية يسودها الخيال وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور **(دُوكو)** فرعون النهر صاحب الشخصية الممتازة، المساعدة للصيادين على ضفة نهر النيجر العظيم حاولت من خلالها والدة **(مامادو)** تفسير الأسرار التي لا يفهمها **(مامادو)** تفسيرا أخلاقيا: "**فأساطير البشر تعطي عنصرا بشريا معقولا لظواهر الطبيعة عن طريق تجسيد القوى غير المفهومة في شكل آلهة أو كائنات خارقة للعادة، وقد وسع من معنى الأسطورة ليشمل الخرافة، أي مجرد القصة الكاذبة التي لا يقبلها العقل"**[2].

ونجد كذلك في المقاطع السردية التي تعكس تقديسهم للأساطير والمرويات الغرائبية عندما عرض **(مامادو)** ردة فعل والدته أثناء إخبارها بعزمه عن بيع بقرتهم الحلوب **(بيكتو)**: "**مع يقيني أن أمي ستنعتني بالجنون أولا، سيدعوها هول الصدمة وعدم التصديق في أخذي لإمام جامع الحي بلا نقاش...وقراءة المعوذتين علي، سيطلب منها هذا الأخير ككل مرة كانت تهرع إليه في مثل هذه الملمات كعام الطاعون...أن تذبح ديكا أبيض على عتبة كوخنا"**[3].

فالأم "**سلاماتو**" كانت كثيرة الإيمان بالمرويات والأساطير تقال لها، حيث كانت تلتجئ إليها في كل ظرف أو مشكلة تعترض العائلة، اعتقادا منها أنها من سبل النجاة وهذا لا يعكس إلا سذاجة التفكير الإفريقي.

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص 58-59.

[2] خضر محمد أبو جحجوح، **البنية الفنية في شعر كمال أحمد غنيم**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية غزة، 2010م/1431هـ، ص40.

[3] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، المرجع السابق، ص30.

4) استعمال التمائم والحروز:

من المعتقدات التي اسحضرتها الرواية والتي تمثل منهجا، وطريقة الحياة في المجتمع الإفريقي، نجد كذلك استعمالهم للتمائم والحروز، حيث تنتشر في أوساطهم استعمال التمائم والحروز ولو كانت مكتوبة بغير القرآن، ومن عينة ذلك ما رصده **(مامادو)** وأصدقاؤه عن أبناء الطوارق يقول في ذلك: **"في رقابهم تمائم جلدية حمراء مربوطة بخيط مفتول، رُصَّ إلى جانبها في ذلك التنظيم مسمار حديدي وصرّة قماش مشدودة فيها شيء ما...قال لنا (ساكو) دون سؤال منا (إنها طقوس الطوارق، يستعملونها لأبنائهم بغية صرف عين الحسود...) زاد على كلامه (أليكس) لما فهمه بأن في "كوت ديفوار" كذلك، هناك اعتقاد شائع بهذا الطقس لا سيما في القرى النائية (يؤمنون بأسْطَرَة الحديد وطرده للأرواح الشريرة !!! "**[1].

كذلك نرصد في الرواية ما تسمى بتميمة **"Gونكي"** التي قدمتها له والدته **"كوصية"** قبل مغادرته البيت، وقد ورثتها عن والده، ففي كل ليلة من ليالي التيه والضياع التي عاشها **(مامادو)** ورفاقه في طريق المغامرة نحو **"الفردوس"**، كان **(مامادو)** حريصا على تميمة **"Gونكي"** أيّما حرص، فوصية أمه لا تزال عالقة في أذنه أينما ذهب: **"إياك أن تنسى وصية "كونكي" وقت الضيق...أجل...أجل يا أمي...ارتكبت قليلا كوني قرب الرفيقين...أحببت أن أخبرها بنجاعة وصيتها، لكن تأكيدها بكتمان السر على الرفاق، جعلني أضمر هذا لوقت آخر أكون فيه بعيدا عن الرفاق...إلى اللقاء يا أمي..."**[2].

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص33.

[2] المصدر نفسه، ص210.

هذه النماذج وغيرها تعكس لنا تفكير الناس في المجتمع الإفريقي، حيث يلجأ الكثير منهم في حال وقوع أزمات، تعقيدات، وضغوطات نفسية في الحياة اليومية إلى استعمال أنواع من التمائم لحل مشكلاتهم، وتوظيف الأحراز ظنا منهم أنها تعينهم في مبتغياتهم.

5) الدعاء :

استفاد **(الزيواني)** من طقس آخر إضافة إلى الطقوس الدينية السابقة ألا وهو الدعاء، وخصص له جانبا ومساحة يتقاطع فيها التراث الإفريقي مع التراث العربي والجزائري بالخصوص، ثم الدين في التراث الإفريقي، يتحول الدعاء مع **(الزيواني)** إلى علامة سيميائية تجعلها الأم "**حليماتو**" بعد إخراج ثديها للدلالة على (دعوة الشر) اتجاه أبنائها إذا تفاقمت الأوضاع ووصل النقاش إلى مسار مغلق، فتستعين بهذه الطريقة ظنا منها أنها ستذكر الابن بما قدمته له من رعاية وعناية في صغره لتفرض عليه الانصياع والانقياد إلى أوامرها وهو ما نجده في الرواية من خلال شخصية **(سمانو)** أحد رفاق **(مامادو)** الذين رموا المنشفة منذ البداية عندما أراد الحديث مع أمه **(حليماتو)** ومفاتحتها في موضوع الهجرة: "**وكررها اليوم عصرا، إنه رمي المنشفة، بعد القسم المغلظة لأمه (حليماتو) وجهرها له بدعوة الشر (أمارتها عندنا إخراج الأم ثديها لابنها)، إن هو كرّر تلك الأحلام في ظل خياله**"[1].

يثبت **(الزيواني)** من خلال تجربته في رواية **(كاماراد)** قابلية التوظيف للموروث الديني الذي يعكس مدى ارتباط القارة الإفريقية وتشبث أفرادها بهذا البعد الروحي وكيف يمكن للتراث أن يكون همزة وصل بين أبناء القارة الواحدة: "**لاحظ الباحثون في شؤون إفريقيا إن الدين هو العنصر الفعال، والقوة المحركة في حياة المجتمع الزنجي ولذلك اتخذوه نقطة ارتكاز في سائر أبحاثهم وأفادت الهيئات التبشيرية من هذه الحقائق فوضعت منهجها على هذا**

[1] الصديق حاج أحمد، **رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص53.

الأساس، وكان من نتائج ذلك أن ترجم الإنجيل إلى عدة لغات إفريقية كاللغة السواحلية وغيرها"[1].

6) التذبذب في العبادة:

لاحظنا في العديد من المواضع في الرواية موضوع الاستهانة بالعبادة، وهذا ما نجده في تصريح **(مامادو)** بكل جرأة: "**إن هدانا الله نصلي وإن غلبنا الشيطان لا نصلي ونستغفر الله في لحظات التوبة والتذكر، هكذا حالنا في الحضَر وقدر بإخلال هذه السُّفرة"[2].**

وقد حذَّر الدين من هذه الصفة وتوعدهم بالويل حيث قال الله تعالى: **{فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون}[3].**

فهذا المهاجر الغير شرعي لا ينسى فقط بلده الأصلي، إنما يراه سببا في تعاسته وتخلفه لأنه يتخلف عن كل قيم دينه كما ذكرنا سابقا.

---

[1] يوسف روكز، **إفريقيا السوداء سياسة وحضارة**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986، ص147.

[2] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص209.

[3] القرآن الكريم، سورة الماعون، الآية-54-.

ثالثا: تجليات الأنثربولوجيا الاجتماعية في الرواية

تهتم الأنثربولوجيا الاجتماعية بدراسة البناء الاجتماعي للجماعات البشرية كالعلاقات الاجتماعية كما تهتم بالآفات الاجتماعية وما تخلفه من مشاكل "**أما عن المفاهيم الأساسية في الأنتروبولوجيا الاجتماعية فتشير في البداية إلى المفهوم المحوري وهو مفهوم "البناء الاجتماعي" ومعنى هذا أن الأنثربولوجي الاجتماعي يفكر في المجتمع وليس في الثقافة كتكوين منظم لأجزاء متعددة وأن واجبه الأول هو اكتشاف هذا النظام وتفسيره وهو يتكون من العلاقات القائمة بين الأفراد وهي علاقات تنظمها مجموعة من الحقوق والواجبات المعترف بها**"[1].

فالسلوك الاجتماعي الذي يتحكم في الفرد يبنى على عوامل تسمح للمجتمع بالتغير والاستمرار عبر الزمان ويعتبر **(جيمس فريزر)** أول من استخدم الأنثروبولوجيا الاجتماعية في محاضراته المعنونة بـ "**مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية**"، إذ عرفها بأنها: " **محاولة علمية لكشف ما يسميه "بالقوانين العامة" التي تحكم الظواهر المختلفة في حياة الإنسان وتفسير ماضي الظواهر للتمكن على ضوئها التنبؤ بمستقبل المجتمعات البشرية استنادا إلى الإدراك الدقيق لتلك القوانين السوسيولوجية العامة التي تنظم حياة الإنسان عبر الزمان**"[2].

إذ نشأت الأنثروبولوجيا الاجتماعية لغرض فهم وإدراك الحياة ونظامها وتعنى بدراسة السلوك الاجتماعية الذي يتحكم في الفرد وحياته بحكم انتمائه إلى جماعة ما أو مجتمع معين وتبيان القوانين والمبادئ التي يخضع لها الأفراد بحكم هذا الانتماء.

من خلال قراءتنا للرواية نرصد واقعين مختلفين متضادين أبدعت أنامل **(الزيواني)** في تشخيصهما ورسم معالمهما، بالنسبة إلى الواقع الأول فيمثله **(مامادو)** ورفاقه نموذجًا لحياة

---

[1] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنتربولوجيا**، د. ن، القاهرة–مصر، 2008، ص27.

[2] جيمس فريزر، الغصن الذهبي نقلا عن أحمد بن نعمان، **سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتروبولوجيا النفسية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، ،1988، ص 12.

البؤس والشقاء والمعيشة المزرية الذي يصفه **(مامادو)** عند سرده لأسباب هجرته فيقول: " **أكاد أجزم سعادة ضيف نيامي-مخرج فيلم كامارد-أن منظر القمامة والهواء الملوث، وحدهما القاسم المشترك بين فقراء عاصمتنا (نيامي) وأغنيائها، بيد أن هؤلاء الأثرياء – سامحهم الله-لو استطاعوا طمس الوصل بيننا وبينهم لفعلوا ...أنا واثق من ذلك...**"[1]، وفي المقابل هناك واقع آخر يرصده لنا **(الزيواني)** والذي يمثله المخرج الفرنسي **(جاك بلوز)** مثالا عن الرفاهية والبرجوازية التي يعيشها المجتمع الأوروبي ويحن لها المجتمع الإفريقي ويتضح ذلك من خلال الأحكام التي كان يصدرها في أول زيارة له لنيامي ويحدث بها نفسه في كل مرة ومن نماذج ذلك قوله: " **مطار عاصمة دولة مساحتها تكاد تكون ركنا صغيرا بمطارات الريف الفرنسي قال في نفسه**"[2]، وفي وصفه وانتقاده لقاعة الدخول إلى المطار يقول " **صالة صغيرة أيضا بقدر زاوية من قاعات مطاراتنا، تكلم مع نفسه مرة ثانية**"[3]، فهو يعقد مقارنة بين ما هو موجود في أوروبا وما رآه في إفريقيا، حيث تحمل هذه المقارنة في مضمراتها نسق السخرية من الوضع المزري الذي يعيشه الشعب الإفريقي، أما عن البناء الاجتماعي بين أفراد المجتمع الكامارادي فقد برزت العديد من العلاقات والعناصر الأنثروبولوجية الاجتماعية التي نذكر منها:

1) نظام القرابة:

تعتبر القرابة مجموعة من العلاقات من العلاقات الاجتماعية التي تشكل جزءا مهما في حياة أغلب البشر، في معظم المجتمعات، بحيث تربطهم ثقافة واحدة وعادات وتقاليد مشتركة فهي تمثل الترابط والتسلسل الأسري ومنه إثبات للهوية من خلال معرفة السلالات السابقة والتي تعتبر الأصل في تكوين الجماعات الشعبية، وهذا ما سعت إليه الأنتروبولوجيا لمعرفة أصول المجتمعات البشرية السابقة، حيث اهتمت بالجذور الأسرية من خلال الأسلاف

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

[3] المصدر نفسه، ص19.

والأجداد باعتبارهم آباء الثقافة الواحدة التي تورث للأبناء والأحفاد، كما نجد العلاقات الاجتماعية التي تشترك في العادات والتقاليد وحتى الثقافة لها نصيب في القرابة رغم عدم وجود صلة الدم، وهذا ما برز في رواية "**كاماراد رفيق الحيف والضياع**" فكانت مثالا للتماسك والترابط بين الأسر من خلال الحفاظ على الموروثات، وحتى بين الأصدقاء الذين كانوا مثالا في التعاون على هموم حياتهم التي يسودها البؤس والشقاوة والفقر.

1.1. تعظيمهم للجد الكبير:

يعتبر الجد أعلى هرم الأفراد الأسرية التي منها تنبع الثقافة الواحدة للفئات الأسرية القادمة وهذا ما برز في رواية " **كاماراد رفيق الحيف والضياع**" ويظهر ذلك من خلال قول الروائي: " **لم تقتنع والدتي بتغير الأشخاص والأزمنة... لازالت تحافظ على الكمية نفسها، التي كان والدي يبيعها، ربما فاتها أن الناس تبدّلت ولم يعد لـ (Gورو) أي مستقبل، بسبب زهد الناس فيه، الآباء كانوا يمصّونه كفعل تراثي، ورثوه عن أجدادهم، كما ورثتُ هذه الحرفة عن أبي عن جدي**"[1]، فالوالدة كانت تعتقد أن البقاء على سنن القدامى شيء لا بد منه في حياة **(مامادو)** وعائلته، حيث ترى أن في ذلك إثبات للهوية الواحدة داخل الأسرة على عكس **(مامادو)** الذي كان محب لفكرة التغيير والتجديد بحكم تغير الأشخاص والمصالح والأزمنة.

فالجد ومهنته هنا شيء مقدس لا يصح لأحد المساس به يقول **(مامادو)**: " **لم يكن الوقت كافيا كفجر كل صباح حتى أقطع أعواد شجرة (Gورو)*...التي ورثتها عن أبي وجدي**"[2]، فقد رسخ الجد **(غندا)** والعديد من سكان الحي لأبنائهم من إرثهم القديم ومكتسباتهم كعادة لديهم لتبقى دائمة متسلسلة داخل السلالة والأسرة الواحدة.

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص62.

[2] المصدر نفسه، الرواية ص56.

2.1. الأم:

تعتبر الأم مصدر الحب والحنان على مر العصور، فهي مربية الأجيال، وفي الرواية لم يغفل **(الزيواني)** على إبراز دور الأم وخوفها على أبنائها ويتجلى ذلك في قول الكاتب:

"بعد تردد محنَّط، قلت لها في شجاعة أسدية:

بلا (تيك طاك) أو (بوم باك) يا أمي:

(قررت الهجرة لـ ...)

قبل إكمالي (بلاد البيض...) قذفت صرخة، لم أسمع منها مثلها قط، إلا مرة واحدة في حياتي، كان ذلك تدقيقا، يوم بلغها نعي وفاة والدي، بمنحدر الحي"[1].

فخوف الأم كان كبيرا على ابنها الذي سيركب قارب الموت وفي ذلك دليل على حبها لابنها وخوفا على فقدانه فرغم كل الخذلان والحزن الذي عاشته الأم إلا أنها كانت دائما المصباح الذي ينير كل أسرة في أي مكان وهذا ما لاحظناه عند المجتمع الإفريقي وظهر ذلك من خلال قول الكاتب: " **...دق الباب الخشبي، خرجت (سلاماتو) والدة (مامادو) بقطرها المميز، المغرز في أنفها كانت مشيتها ترقص من الفرح برجوع ابنها [حيا]...رغم عودته الخائبة ...قالت (سلاماتو) في نفسها، خلال خروجها للزائر:**

" جارتي العزيزة (خديجاتو)، فاز ابنها الوحيد بالفردوس ... ولم يرجع...أنا أفضل منها...على الأقل رجع ابني [سالما] [حيا] هذا يكفيني"[2].

فرغم رجوع **(مامادو)** خائبا إلا أن الأم كان يكفيها أنه حيا لا يهم متاع الدنيا والمال بقدر ما يهمها رؤية ابنها مرة أخرى، فالأم هنا مثال للحب والأمل وحتى للحياة كما نجد أن سلطة الأم كانت بارزة جدا في المجتمعات الإفريقية، فكانت الأساس عند غياب الأب واحترامها واجب، حيث لعبت دور الأم والأب معا، وهذا ما كان حاضرا في الرواية من خلال خوف

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص 73-74.

[2] المصدر نفسه، ص 27-28.

(مامادو) من أمه عند أخبارها أنه سيهاجر، ويتجلى ذلك من خلال قوله: " **تريد الصراحة سيدي...ها هي بلا طلب ...بالرغم من ثقتي وذكائي وسحر خلاصي...غير أن بداية المفاتحة مع أمي في هذا الأمر، كانت صعبة جدا بعد تردد قلت لها في شجاعة أسدية:**

بلا (تيك طاك) أو (بوم باك) يا أمي:

(قررت الهجرة لـ ...)"[1].

فـ **(مامادو)** وهنا رغم ذكائه وفطنته وحتى شجاعته لم يستطع مواجهة أمه بحديثه عن الهجرة، وذلك يدل على أن الأم كانت ذات سلطة داخل الأسرة، لذلك كان من الصعب على **(مامادو)** أن يتكلم وظل متردد من رد فعلها.

2) العلاقات الاجتماعية:

1.2. الصداقة:

تعتبر الصداقة رمز من رموز التماسك والتعاون وحتى الصدق داخل المجتمع الواحد حيث تتولد عنهم ثقافة واحدة وعادات وتقاليد مشتركة تنعكس على شخصية الأصدقاء، وتبرز مظاهر الصداقة داخل الرواية من خلال قول الكاتب: " **كان الوجوم باديا على الرفيقين (عسمانو) و(غاريكو)، مقدار، يتلبسنا أيضا نحن الراحلين...ليس من السهولة نسيان عشرة سنوات، تقاسمنا فيها الفقر، الشقاء، المناظر المعفنة، الهواء الملوث، تقديد البعوض لأجسامنا الممصوصة أصلا**"[2].

فالصداقة هنا عبارة عن سنوات من الشقاء والبؤس والفقر والحرمان كانت بمثابة علاقة واحدة مشتركة عانى فيها الأصدقاء، فرغم الظروف القاسية التي كانت تلم بهم إلا أنهم المآسي سويا وهذا إن دل على شيء فيدل على روح الإخاء والصداقة التي تحلى بها المجتمع

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص73.

[2] المصدر نفسه، ص99.

الكامارادي خاصة والمجتمع الإفريقي عامة من غيره من المجتمعات، فهي ميزة للثقافة المشتركة التي تعتبر هوية هذا المجتمع.

كانت هذه أهم العلاقات الاجتماعية التي برزت داخل المجتمع الإفريقي والتي كانت تعيش تحت ظروف عيش قاسية ما دفع بأفراد المجتمع لممارسة شتى أنواع الآفات الاجتماعية وأخطرها ومن أهم المظاهر الاجتماعية التي تطرق لها **(الزيواني)** في روايته نذكر:

3) المظاهر الاجتماعية:

1.3.المخدرات:

تعتبر المخدرات من أخطر الآفات الاجتماعية انتشارا داخل المجتمعات الإفريقية، وقد تعمد **(الزيواني)** الوقوف على هذه الظاهرة في رحلة ليكاماراد وصورها بشتى أنواعها، **(فكايطا)** الذي كان زعيما في الحي غير الشرعي كان مروجا "**كايطا قد أومالي في الخرجة الليلة بالأمس مع (ادريسو)، إنه يبيع المخدرات هنا**"[1]، ففي هذه الحياء تنتشر شتى أنواع المخدرات التي تكشفها لنا الرواية وطرق الحصول عليها، فيمكننا أن نقسم المخدرات في هذه الرواية إلى قسمين:

1.1.3. مخدرات طبيعية:

كالحشيش والزطلة الذين كانو حاضرين في جلسات الأفارقة وسمرهما " **رأينا بعدها (كايطا) يخرج ورقة خفيفة شفافة وضع وسطها سيجارة ريم بعدما بل جهة منها بطرف لسانه، نزع منها ذلك الوجه بحركة مدهشة وغاية في الاتقان بعدها أخرج قطعة سوداء معجونة قربها قريبا من مهد القداحة، فتت منها ضئيلا على التبغ بعدها برم الورقة وألصق طرفها بلسانه ليلفها بشكل مدهش أكثر من الأول !! أشعلها جذب أنفاسها متتالية، انطلقت منها رائحة مميزة**"[2].

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص 233 انظر 234.

[2] المصدر نفسه، ص222.

2.1.3. مخدرات تقليدية:

وهي التي تكون صناعتها بطرق تقليدية بسيطة بمواد يقال عنها أنها عفنة كمشروب الـGورو Gورو: " **أنه المشروب الروحي لشعب ليكاماراد يا رفيقي...منه مشروب Gورو Gورو اخترعه سجناء التمييز العنصري بجنوب إفريقيا قبل خمسين سنة يصنع من بقايا اللباس المتسخ والجوارب المعكرة...**"[1]، إضافة إلى العديد من المشروبات وأنواع المخدرات الأخرى "كما أن هناك مشروبا روحيا آخر، نطلق عليه "**بيليبيلي**" وثانيا ندعوه "**كاسيلي**"...هناك مشروب آخر ندعوه "**شومبولو**" تقليدي أيضا"[2].

2.2. البناء الفوضوي:

كان البناء الفوضاوي غير المرخص واجهة القضية التي تعتري واجهة الاستقرار، أينما حل المهاجر غير الشرعي، فقد كشف لنا **(الزيواني)** عن طريق **(مامادو)** المستور عن أحياء شّعبية فوضوية وركز على حيي الشاطو بني وسكت وحي النجاة كونهما ملجأ للأفارقة كذلك شتى أنواع المجرمين: "**أنه خلال السبعينات من القرن الماضي ولما ضرب الجفاف شمال دولة مالي وقعت مجاعة كبرى هنالك نجم عنها نزوح هائل للطوارق...ليستوطن بحي النجاة برGان وحي بني وسكت بأدرار المركز**"[3]، فالمباني الفوضوية كانت منتشرة وبكثرة في إفريقيا والتي كانت بؤس لشتى أنواع الجرائم والآفات الاجتماعية التي رصدها لنا **(الزيواني)** في روايته.

3.3. السخرة والاستعباد:

كانت مظاهر السحرة والاستعباد تغزو المجتمع الإفريقي فقد كان الفرد الإفريقي كثيرا ما يتعرض للسخرية والعنصرية بسبب لون بشرته السوداء، فهذا الشكل من التمايز يظهر في

---

(1) الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص 219.

(2) المصدر نفسه، ص219.

(3) المصدر نفسه، ص311.

الهيمنة والسلطة التي يتمتع بها الجنس الأبيض ضد الأخر الأسود بحكم فارق لون البشرة" **...فالإنسان لم يولد وهو مخير بين لونه وصحته ونسبه وغناه وفقره إذ لم تحترم الخلق فاحترم الخالق**"[1].

والإسلام حط هذه النظرة تحت الأقدام بقوله صلى الله عليه وسلم: **{أيها الناس إلا أن ربكم واحد وأن أباكم واحد، إلا لا فَضْلَ لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربيّ ولا لأحمَرَ على أسوَدَ ولا أسودَ على أحمر إلا بالتقوى، أَبَلّغتُ؟، قالوا بَلغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم**"[2]، ولعل هذا المظهر هو عملية درامية مصاحبة لهذا الإنسان "**مات أبوه ميتة تراجيدية...أسمعك الله خبر الخير...جراء عمله في حفر بئر الصرف الصحي العميق لأحد الأثرياء بحي "بلاطو" الثري بعد انفلات الفأس الحادة من الحبل النازل وهو في قاع البئر**"[3]، فالإفريقي لم يسلم من ارتباط قدره بالسواد فمن بشرة سوداء استدعت نسق العنصرية، والرق، والعبودية إلى واقع أسود بظلمه وفقره وأخطر من ذلك السُخرة مع هضم الحقوق وربما بخس الثمن مع استرجاع النفس خصوصا من المقاولين وأرباب العمل "**المقاول –سامحه الله– لم يكفيني حتى شراء الدواء**"[4]، فهذه الصورة على مرأى ومسمع الكل وما يعاب على هذا الإنسان قبوله العبودية والغلبة التمييزية.

4.3. تجارة الموت:

عملت الرواية على تعرية المسكوت عنه وفضح سياسات تجار الموت، وجماعات مافيا تهريب البشر، فقد رصدت الرواية مسار الهجرة عبر الصحراء الجزائرية وما تعرض له **(مامادو)** وأصدقاؤه من أهوال ومخاطر خاضوها مع سماسرة تهريب البشر، كما يدعوهم

---

(1) ولترودني، **أوروبا والتخلف في إفريقيا**، تر: أحمد قصير، مراجعة: إبراهيم عثمان، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص37.

(2) أحمد بن محمد بن حنبل، **المسند**، دار الحديث، القاهرة، 2006، ج8، ص474.

(3) الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص54.

(4) المصدر نفسه، ص326.

(مامادو) ويتحدث عن هذا المسلك الخطير الذي لا مفر منه قائلا: "**عرفنا أن هناك خيارات صعبة لا محيص منها: الأول منها مغامرة مع سماسرة تهريب البشر على الصراط..لقطع الصحراء الكبرى وصولا للجارة الشمالية، مع ما يشترط فيه هؤلاء من أثمان باهظة بلا شفقة على السلعة البشرية المهربة !!، ثانيها: قطع مساحة هذه الأخيرة طولا مع شقيقتها الغربية عرضا بالحافلات، والمشي على الأقدام أثناء التسلل بين حدودهما بعيدا عن عيون حراس الحدود، وهذا لا يخيفنا أو يعوقنا**"[1]، فتهريب البشر جريمة يعاقب عليها القانون ناهيك عن ما تلحقه هذه التجارة لا من الدولة، ولعل ما يشد الانتباه في هذه التجارة أنها لا تستثني شيخا، أو طفلا، أو امرأة، أو شابا، أو كهلا كل على حد سواء "**زحف ساداتنا المسنون والمستجدون نحو سيارة لا ندر٧..ر يحملون متاعهم ويجرون ما ثقل منه**"[2]، ويقول **(مامادو)** في حكاية أخرى: "**ربما ما يميز هذه المجموعة عن غيرها وجود الشيوخ، والنساء الضامرات مع أطفالهم غاية أحلامهم، ومنتهى فردوسهم أن يصلو طامة وينزرعو في شوارعها يتسولون، بطاسات التوتيا الصغيرة**"[3]، وما يبرر هذا الزحف نحو القارة العجوز أو قل نحو الجارة المضيافة الجزائر هي الحروب أو قل ضعف المستوى المعيشي أو اللاعدل في توزيع الثروات.

5.3. الدعارة:

يتمثل هذا الطرح عن طريق استحضار المتخيل الحسي والوصف لمقومات الحياة في العالم الآخر خصوصا تلك الأزقة والأحياء الغير قانونية التي يعتريها الاختلاط كما ذكر عن "**حي الشاطو**"، حيث أن هذا الحي فيه حركة دؤوب لنسوة يمتهن الدعارة "**الحركة بدأت تنشط قليلا، البعض من النساء الكامارديات، بدأن يظهرن عند مدخل الحي كسلعة رائجة، كما كنّ**

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص59.

[2] المصدر نفسه، ص129.

[3] المصدر نفسه، ص121.

بالأمس عشية بأبواب الزقاق"[1]، فالدعارة في هذا الحي تعتبر كشيء عادي أمام مرأى ومسمع الكل تمارس بل تتخطى إلى المجاهرة وعرض الأجساد لاختيار الفرائس الخنا مساء في حركة دائبة "**العاهرات بعضهن كن منشغلات بالزبائن البعض منهن كن يجلسن على كراسي تقليدية، تبادلن الافتراء"**[2].

إن الظروف القاسية هي التي عاشها المجتمع الإفريقي والممارسات المتعسفة ضده كان لابد لها من نتائج سلبية، وهذا ما وجدناه داخل المجتمع الكامارادي الذي انتشرت فيه كافة الجرائم والمظاهر الاجتماعية التي مارسها كهروب من واقعه المرير، ورغم هذا إلا أن الأفراد الكامارادیون لطالما كانوا روحا متلاحمة وهم في أصعب الظروف، كما لاحظنا بين رفقاء **(مامادو)** الذين تقاسموا رحلة الموت وأصعب الظروف مشكلين جماعات إثنية تحت مسمى **"ليكاماراد"**.

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص213.

[2] المصدر نفسه، ص218.

رابعا: تجليات الأنثروبولوجيا السياسية في الرواية

"إن الأنثروبولوجيا السياسية تفرض نفسها أولا كطريقة اعتراف ومعرفة بالأمور السياسية المستغربة، وبالأشكال السياسية "الأخرى"، إنها أداة اكتشاف ودراسة شتى المؤسسات والممارسات التي تحقق حكم الناس فضلا عن أنها أداة اكتشاف لنظم التفكير والرموز التي تستند إليها"[1].

فبحديثنا عن موضوع السياسة لا يمكن أن نغفل عن العديد من المشاكل التي تواجه أي دولة سواء من جهة شعبها أو من جهة نظام الحكم التعسفي الظالم والذي يخلق العديد من المظاهر كالتزوير وتهريب البشر، وغيرها من المفاسد.

ورواية **(الزيواني)** لا تخلو من تقصي مثل هذه المفاسد لذلك نجد أنه وظف العديد من المواضيع التي ذكرتها أعلاه بالتفصيل وهذا ما يظهر من خلال بعض الاستشهادات التي أخذتها.

1) جرائم الاستعمار:

أراد الكاتب أن يبين الوضع القاسي والمرعب الذي آلت إليه القارة الإفريقية، والذي كان في أبشع صوره فحتى المدارس والأطفال لم يسلموا من هذه النار والانفجارات والحروب، يقول **(مامادو)**: **"قبل عامين كنا صباحا في مدرستنا الثانوية في مدينتنا (باس) عندما سمعنا دوي انفجارات قوية ومرعبة"..." الحرب تبقى ولا تذر آه عفوا!! لا تذرو لا تبقى"[2].**

وهذا يبرز أن الحرب لا تعرف لا صغيرا ولا كبيرا هدفها الوحيد القضاء والوصول إلى المبتغى حتى وإن كلف الأمر روح الأبرياء، وبهذا فالقانون لديهم يقول إن الحكم للأقوى.

---

[1] جورج بلانديه، **الأنتروبولوجيا السياسية**، ترجمة: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ-2007م، ص 16-17.

[2] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص 141-142.

فالحرب عندهم بمثابة نذير شؤم تلعن في كل مكان وزمان، وباختلاف الديانات، وهذا فإن دل على شيء فيدل على أنها وحش كاسر ترعب الكبير والصغير، ويدفع ثمنه الأُناس العاديين.

حيث يقول: "**لعنا الحرب في الكنائس لعنها المسلمون من مواطنينا في المساجد... كلفنا فاتورة غالية يا رفيقي الآلاف من القتلى والمتشردين!!**"[1].

فهذا القمع والاستبداد والممارسات السياسية كان له أثر كبير على حياة الإنسان حيث يقول (**مامادو**): "**في حيينا القصديري"Gمكلي"، الواقع على الضفة الشرقية الضاجة من نهر النيجر لا توجد نواد أو مقاهي شَبابية نختلف إليها لدغدغة أحلامنا وعدّ جغرافية بؤسنا على خارطة هذه الحياة المليئة بالمفارقات**"[2].

حيث عكست هذه الشاحنات السياسية على بؤس الشعب الإفريقي عامة وشعب حي "**Gمكلي**" خاصة، فكانت لها تأثير سلبي كبير على نفوسهم، وحتى أن المفارقات الحاصلة في العالم هي ما زادت الطين بلة، وهذا ما يدفعهم إلى التطلع لبلوغ الضفة الأخرى.

ولعل من أهم الجرائم الاستعمارية المشار إليها في الرواية هي القنبلة الذرية التي فجرتها فرنسا "**برقان**" والتي أشار إليها الكاتب في قوله: "**أن منطقة حمودية برGان شهدت تفجيرات نووية قوية من طرف الاستيطان الفرنسي خلال الستينات من القرن الماضي**"[3].

أراد من هنا الكاتب الإشارة بلمحة عابرة فقط عما عاشته الجزائر جراء الاستعمار الفرنسي وهذا ما يعاب عنه كونه لم يجرم الفعل بل اكتفى بسرد الحادثة وتصويرها وتذكيرنا

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص142.

[2] المصدر نفسه، ص36.

[3] المصدر نفسه، ص304.

بها لا غير رغم أن قضية تفجيرات القنابل الذرية موضوع حساس لا يمكن إغفاله له خصوصا أن الكاتب يعتبر ابن المنطقة.

2) تغافل السلطة:

عمل **(الزيواني)** على كشف المسكوت عنه في الرواية فذكر لنا في العديد من المحطات تغافل وتهاون للسلطات في بعض المناطق لتصبح بؤر فساد خارجة عن السيطرة، يقول **(مامادو)** في رحلته "**لباريس ليكامارد**" وبالضبط بالولاية الجزائرية الجنوبية تمنراست: "**حينا بالشاطو لا أحد يجرؤ من الاقتراب منه من أهل البلدة... حتى الشرطة لا تقوى على الدخول للحي**"[1]، هذا المكان بوسط ولاية تمنراست الجزائرية يستعمره المهاجرون السريون ليكون منطقة سوداء تعجز الشرطة عن دخوله على مرأى ومسمع السلطات.

3) ظاهرة التزوير:

كذلك وظف **(الزيواني)** ظاهرة التزوير فكانت حاضرة وبقوة، فهذا النوع من الأعمال يعاقب عليه القانون أشد عقاب لأنها تعود بالسلب على العملة الوطنية أو الدولية، كما تمس بالبنية الاقتصادية، وهذا ما يظهر من خلال بعض النماذج:

"**لولا التزوير لكنا مثلهم !!**

استدركني (باتريك) بصوت واهن أيضا:

التزوير عند (ياربنسون)، يحمل على محملين، احتراف تزوير العملة والجواز !!"[2].

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص229.

[2] المصدر نفسه، ص298.

فمهمة الكمارادي هي التزوير إلى أن وصل إلى حد الاحترافية فهم لا يفكرون إلا في تزوير أوراقهم وبسبوراتهم وحتى العملات النقدية، وذلك بغرض العبور بسلام وحتى إنفاق المال كما يحلو لهم، وطبعا هذا راجع إلى الضغوطات التي يعيشونها في بلدهم وحتى الحروب والضغط السياسي فتولد عندهم حلم العبور مهما كلف ذلك من ثمن.

يقول كذلك **(مامادو)** في حديثه مع **(جورج)** وهو يتساءل عن عالم وهامش أهل "ليبيريا": **"كما رأيت بإحدى الغرف جهاز الماسح الضوئي في تعليبه الكرتوني، مكتوب عليه بالبنط العريض ماركة مسجلة HP، تخلد بجانبه محاليل كيميائية في قارورات زجاجية صغيرة، قال لي رفيق أسكن معه بالغرفة أنها لتزوير عملة الدينار واليورو"**[1].

4) السمسرة والرشوة:

لاحظنا كذلك في الرواية تناول **(الزيواني)** لظاهرة تعتبر من أشد الآفات فتكا بالمجتمع، وخاصة على جانب المعاملات وهي ظاهرة السمسرة والرشوة، حيث يصورها لسان الحاكي: **"مهما وفرت من دراهم معك فإنها ستنفذ نظرا للابتزاز المفرط من سماسرة التهريب ومزايدتهم في الثمن، كونهم يدركون وندرك أيضا-نحن سلعة البشر المهربة-أن هذه المسالك الوعرة..."**[2].

وقد حذر الدين الإسلامي من هذه المعاملات وحرص كل الحرص على أموال المسلمين وحفظها، إلا أن المهاجر الإفريقي يتبع كل سبل الفساد المالي من انطلاق رحلته إلى نهايتها، وبذلك يكون قد أضاع الكثير منه على غير وجه حق، ولقد أفرد عنها الحديث **(حاج أحمد)** بدء من نيامي النيجر مرورا بنقاط المراقبة والتي يتمنى الجنود القائمين عليها أن

---

(1) الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص214.

(2) المصدر نفسه، ص69.

يظفروا بمهاجر لا وثائق له، حتى يجدوا فرصة لعرض الرشوة عليه كمنحة لتأشيرة مروره في الحاجز الأمني فيقول الكاتب: "**وأخيرا وجدوا كوت ديفواري وبوركينابي، أنزلوهما نحو كوخ مبني بالحجارة، ساوموهما إما أن يدفعا... أو يرجعا لبلديهما من هنا، المهم انتهت المفاوضة بحلبهما... انتظرنا حتى قضوا وطرهم منهما... بعدها صعد المسكينان يخفيان شكواهما لمولاهما، سمعنا (الكوت دي٧واري) يقول: بمسمع من الجنود "حرام عليكم أليست هناك اتفاقية بين دول غرب إفريقيا، تسمح لرعايا هذه البلدان بالتواجد على أراضي الاتحاد دون مشكل وبلا تأشيرة؟**

جلس هذا الأخير في مكانه قانطا، انطلقت الحافلة، قال متزمرا بصوت معلن" :اللعنة عليكم يا مصاصي الدماء"[1].

ولم تقتصر ممارسة الرشوة على الحواجز الأمنية فقط فقد كانوا يستعملونها لإصدار جوازات السفر المزورة إذ يقول الكاتب: "**إما استصدار جوازات سفرنا فهو سهل في بلدنا... يكفي أن تدفع (5000 فرنك سفا) كرشوة، يستخرجونه في يومه**"[2].

كذلك نجد الرشوة في حديث الكاتب عن رجال الأمن في الجزائر في إحدى نقاط التفتيش الذي يمر عليهم المقاول المعروف بكرمه مع المهاجرين دون أن يسأل عن من أين قدموا أوالى أين يذهبون، لا لشيء، إلا أنه يهديهم خراطيش المالبورو يقول **(حاج أحمد): "الوقت ساعتها قبيل منتصف النهار، عندما وصلنا نقطة التفتيش للجنود، ...تمهل المقاول، كان الجنود يجلسون في حاوية البواخر ...تقدم واحد منهم نحو الطريق أشار الجندي للمقاول بالمرور، يعرفونهم ويعرفونه هو دائم المرور بحكم ورشته بمرسيليا... وسكنه بباريس... إن لم أقل كرمه معهم في إهدائهم خراطيش المالبورو وإن كنت أجزم بهذا قطعا**

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص 108-109، أنظر ص110.

[2] المصدر نفسه، ص69.

سيدي المخرج"[1]، فالرشوة لم تبقي أحدا إلا وألقت ظلاله عليها، إذ تتقنع بعدة أقنعة كالهدايا والإكراميات وعمولات وعطر الديوانيين وفطور الشرطيين وكلها صور خبيثة لا تنتهي من الشياطين البشرية وأعوانهم، وكلها تسعى لطمس حق وسكوت اتجاه باطل.

إن الممارسات السياسية المتعسفة لا بد لها من نتائج سلبية تنعكس على الإنسان سواء داخل مجتمعه أو خارجه، و**(الزيواني)** من خلال روايته "**كاماراد**" أراد كشف المستور وتصوير الفرص السياسية في هذه المناطق الإفريقية، فقد كان الموضوع السياسي أكثر غورا وأكثر فصاحا، تناول فيه العديد من أشكال الفساد السياسي ونظام الحكم التعسفي الظالم **(كالرشوة والتزوير وجرائم الاستعمار والسمسرة...)**، التي كانت تمارس على مرأى ومسمع السلطة لتصبح بؤر فساد خارجة عن السيطرة.

[1] الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص 108-109.

خامسا: تجليات الأنثروبولوجيا اللغوية في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع

تعتبر الأنثروبولوجيا اللغوية دراسة متعددة التخصصات حول كيفية تأثير اللغة على الحياة الاجتماعية، فهي من العلوم المهمة التي تحاول توثيق وتسجيل اللغات المهددة بالانقراض، "**وقد أكد (همبولت) و(سبير) أن كل لغة تعبر ونظرة مجتمع ما، وعن تصور خاص لهذا المجتمع الذ يتكلم أفراده بها، بمعنى أنها تعبر عن وتعكس ذهنيته، تحدد ثقافته، وشخصيته، إن هذا التصور أظهر أنه ذو قيمة وأهمية في مجال الأنتروبولوجيا، وفلسفات اللغة، إلا أن النقد الذي يمكن أن نوجهه له هو أن اللغة قد تتغير ولكن التصورات الذهنية والثقافات تبقى هي هي ثابتة، والعكس صحيح قد تتغير الذهنيات، والتصورات، والرؤى، وتبقى اللغة هي نفسها ثابتة**"[1].

فاللغة من أهم عناصر ومكونات النص الروائي وهي جوهره، حيث كان (الزيواني) على قدر كافي من الاطلاع على الثقافات الأخرى، وقد وُفِّق في مزج اللغات وإعطائها خلفيات تاريخية وثقافية، فاللغة دور كبير في تشكيل المجتمع والثقافة.

حيث نجد العديد من الألفاظ الخاصة بالمجتمع الإفريقي في رواية "**كاماراد رفيق الحيف والضياع**" لتكون رمزا من رموز هويته يتشارك فيها بالتواضع مع بني مجتمعه لتكون شيفرة داخل ذلك المجتمع أو القبيلة، فمثلا لفظ "**Gانيليا**" وهو لفظ يطلق على القماش ذو النوع الممتاز، ويظهر ذلك من خلال قول الكاتب: "**يلبس عباءة باردة الخضرة من نوع البازان الممتاز، المسمى في معاجم أهل إفريقيا بمصطلح "Gانيليا"**[2].

---

[1] مصطفى تيلوين، **مدخل عام في الأنتروبولوجيا**، ص38.

[2] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص129.

فكان هذا اللفظ بمثابة رمز من رموز المجتمع الإفريقي، بحيث ارتقت اللغة الإفريقية إلى بلوغ مكانة خاصة عند المجتمع (الإفريقي)، فخصصوا لها معجم خاص بهم، لا يفهمه إلا الإفريقيين، وفي ذلك انعكاس لذهنية ذلك المجتمع وإبراز لشخصيته وثقافته.

ونجد كذلك "**قناع التسغنس**" وهو قناع تضعه المرأة الطارقية ليعبر عن هويتها وانتماءها للصحراء، ويظهر ذلك من خلال قول الكاتب: "**نساء بيضاوات جميلات، يلتحفن قناع (تستغنس)**"[1].

فكان هذا اللفظ خاص بالصحراء وهو رمز من رموز هويتها يبرز ثقافتها ويعكس ذهنية شعبها، فكان لفظ "**قناع التسغنس**" بمثابة جسر تواصل بين فئات المجتمع الصحراوي، ليكون هدف اللغة بذلك هو التواصل بين مجتمع المحيط الواحد، وذلك من خلال التواضع وسن بعض الألفاظ الخاصة (المجتمع الصحراوي) والتي تميزه عن غيره من المجتمعات، فرغم تغير الأزمنة واللغات إلا أن اللغة الإفريقية عامة والصحراوية خاصة بقيت ثابتة كثبات تصوراتهم، ذهنياتهم، وحتى ثقافاتهم.

هذا من جهة ألفاظ اللباس، أما من جهة الألفاظ الخاصة بالأكل فقد كان هناك العديد من الألفاظ الخاصة بالمجتمع الإفريقي والتي تعبر عن هويته التاريخية والتراثية والتي لا تزال حية ثابتة ثبات المجتمع الإفريقي متحدية التغيرات الطارئة على المجتمعات.

ومنها نجد "كوربة كوربة" وهي عصيدة كامارادية ويظهر ذلك من خلال قول الكاتب: "**...لقد كلف (توري) الرفيق (كامارا) أن يجهز عشاء كامارادية خالص على شرفنا، وجبة (كوربة كوربة)، هي على أية حال عصيدة الدخن**"[2].

---

[1] الصديق حاج أحمد، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص155.

[2] المصدر نفسه، ص324.

فكانت ألفاظ الأكل عبارة عن ألفاظ اجتماعية بحتة، بحيث لا يمكن لأي شخص جاهلٍ لذاك المجتمع من فهمها أو التعرف عليها إلا إذا مكث لفترة داخل المجتمع الكمارادي، وعاشر شعبه ليتسنى له معرفة هذا الطبق وما المقصود به **(كوربة كوربة)**، لذلك فقد كانت لغة الكامارادیین لغة موحدة يتواصل بها شعبهم، تعكس ثقافتهم (المجتمع الكمارادي) وطرق تفكيرهم وهذا ما انعكس على الألفاظ حتى في الأكلات الشعبية، والملابس وغيرها، وفي بعض الأحيان تكون اللغة وليدة للطبيعة المعاشة، والتغيرات الطارئة على الجماعة الشعبية، وهذا ما يجعلها (اللغة) متعددة بتعدد الجماعات الشعبية ذات المحيط، والرقعة الجغرافية الواحدة.

كذلك نجد من بين ألفاظ الأطعمة والمأكولات التي تحضر في الرواية لما لها أهمية عند المجتمع الصحراوي عامة والطارقي خاصة وهي "**كسرة التاقلة**"، وهي كسرة تقليدية ومثال ذلك قول الكاتب: "**أنه سيصنع لنا "كسرة التاGلّة"، بعدها ترك الطارقي العجينة مكورة في الصحن**"[1].

فكان لهذا اللفظ "**التاقلة**" رمزية خاصة اختص بها الطوارق عن غيرهم بما لها من أهمية في وجباتهم، حيث يتكلم الطوراق لغة خاصة بهم تميزهم عن غيرهم، حيث يقومون بتوريثها لأبنائهم لتبقى لغة ثابتة بعيدة عن الانقراض، ولتكون أيضا (اللغة الطارقية) لغة فريدة متميزة خاصة بهم للتواصل فيما بينهم وأيضا أداة لمعرفة واكتشاف الغرباء عن ذلك المجتمع الطارقي.

كما نجد أن الكاتب وظف التعدد اللغوي في رواية "**كمارد رفيق الحيف والضياع**"، وهذا ما ولَّد العديد من اللهجات فمثلا نجد توظيف العديد من اللغات الأجنبية كالإنجليزية في التعامل مع ليكامارد: "**Give me your passport please**"[2] والتي تعني "**أعطني**

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كامارد رفيق الحيف والضياع**، ص137.

[2] المصدر نفسه، ص156.

جواز سفرك من فضلك"، فكانت هنا اللغة الإنجليزية خادمة للتعامل والتواصل والتحاور من طرف المجتمعات مع الكامارادييين.

كما نجد عبارة "**Merci Mon patron**"[1] والتي تعني "شكرا سيدي"، حيث قالها سائق التاكسي للسنيمائي الفرنسي **(جاك بلوز)** وذلك بغرض امتنانه وفرحه بما قدمه له، وكذا استعمل هذه اللغة (الفرنسية) ليستطيع إيصال ذلك الشكر والامتنان لما قدمه له **(جاك بلوز)**.

ونجد أيضا توظيف اللغة العربية الفصيحة وهي الأكثر حظا في التوظيف، فكانت لغة الروائي فصيحة واضحة وذلك من خلال قوله: "**أنا مترح جدا يا أمي، لأن القارب غرق بنا عرض البحر...ومن يدري؟ ربما أكون اللحظة في جوف الحوت... !!**"[2].

فقد استعمل الكاتب لغة فصيحة تظهر فيها ملامح ومظاهر الحزن والأسى، فكانت بمثابة انعكاس للحالة النفسية التي عاشها **(مامادو)** بطل الرواية، فكانت اللغة هنا تهدف إلى نقل القارئ وجعله يعيش مكان **(مامادو)** الذي لم يوفق في بلوغ الضفة الأخرى، لذا فاللغة عامل من عوامل الاتصال تعمل على نقل وإيصال الشعور للقارئ، ونقله من مكانه إلى أحداث الرواية.

لقد كان **(الزيواني)** أنثروبولوجيا لغويا في رواية "**كاماراد رفيق الحيف والضياع**"، بحيث اعتمد انتقاء الألفاظ الدالة على هوية المجتمع الإفريقي وغاص في عالم المجتمع الطوارقي لغويا، فوظف الكثير من الألفاظ التي تبدو غريبة على القارئ الجزائري والتي تكشف له أنه أمام هوية لغوية خاصة ينبغي الغوص بمجتمع الرواية لإدراكها.

---

[1] الصديق أحمد الحاج، **كاماراد رفيق الحيف والضياع**، ص21.

[2] المصدر نفسه، ص7.

بما أن الأنثربولوجيا هي علم دراسة الإنسان، فقد أولت اهتمامها بالمجتمعات الإنسانية بما فيها المجتمع الإفريقي، وهذا ما انعكس على روايتنا "كاماراد " رفيق الحيف والضياع لحاج أحمد صديق المدعو **(الزيواني)** وقد ظهر ذلك من خلال بروز عدة جوانب تميزت بها شخوص مجتمع الرواية مما انعكس على هوياتهم، وثقافاتهم، وحتا عاداتهم، وتقاليدهم وسلوكاتهم داخل المجتمع وخارجه لتكون مرآة عاكسة على شخصياتهم حاملين راية ثقافتهم الموحدة داخل المجتمع الإفريقي والتي تتنوع بتنوع الأجناس والأمكنة داخل المجتمعات.

خاتمة

خاتمة:

انتهى البحث في رواية " **كاماراد رفيق الحيف والضياع**"–مقاربة أنثروبولوجية– للروائي **(الصديق حاج أحمد)** إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

- الأنثروبولوجيا مقاربة تمكن الباحث من دراسة واستنطاق طبيعة المجتمع ونمط تفكيره، ورؤيته للعالم من خلال الرواية.

من خلال دراسة الرواية "**كاماراد رفيق الحيف والضياع**" نلاحظ:

- أن الأنثربولوجيا كانت مقاربة أساسية في إبراز أهم النظم والمظاهر الاجتماعية والثقافية، والدينية، والسياسية، وحتى اللغوية السائدة في المجتمع الإفريقي.
- كان للأنثروبولوجيا الثقافية دور كبير في إبراز تفاصيل المجتمع الإفريقي عامة والصحراوي خاصة، فظهر ذلك من خلال:

✓ اعتبار الأكل واللباس وحتى الرقص والغناء رمزا من رموز الهوية والثقافة في المجتمع الإفريقي.

✓ الأنثروبولوجيا الدينية لها دور كبير في إبراز نماذج وتجارب الشعوب من ديانات متعددة ومختلفة.

- أبرزت الرواية مميزات الجوانب الدينية للمجتمع الإفريقي، والطقوس المتعلقة به، فكان هناك تباين بين الديانات منهم من يحرص على مقومات دينه، ومنهم من يؤمن بالأساطير والمرويات الغرائبية، فتنوعت مظاهر الدين في الرواية بتنوع المجتمعات والجنسيات، وحتى الإثنيات.
- الأنثربولوجيا الاجتماعية تهتم بدراسة المجتمع وعلاقته بغيره من المجتمعات، وذلك من خلال:

- أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بدراسة المجتمع وعلاقاته بغيره من المجتمعات وهذا ما برز في روايتنا كاماراد رفيق الحيف والضياع من خلال العديد من المظاهر التي ميزت مجتمع الرواية.
- كان للأنثروبولوجيا السياسية دور كبير في الكشف وتعرية واقع المجتمعات الإفريقية من خلال كشف المسكوت عنه في المعاملات السياسية فبرزت العديد من المظاهر التي تمس بالدولة والسياسة.
- الأنثروبولوجيا اللغوية عامل مهم في الكشف عن طرق تفكير المجتمعات وثقافتها، وكذا كيفية تأثير اللغة على الحياة الاجتماعية.
- اهتم الروائي بإبراز مجموعة من المصطلحات اللغوية داخل المجتمع الإفريقي والصحراوي، والتي ميزتهم عن غيرهم من المجتمعات.
- كانت لغة الروائي **(الصديق حاج أحمد)** لغة ملمة بلغات المجتمعات الإفريقية والصحراوية وحتى الأوروبية الأجنبية، وفي ذلك دليل على اطلاعه بالثقافات الأخرى.
- مزج الروائي بين اللغات الفصحى والأجنبية، مما أكسب النص الروائي نوعا من تعدد الأفكار وتوسيع قدرة الأفراد على التصور، وكذا تجسيد التنوع الثقافي للمجتمعات.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية –ورش عن نافع–

أولا: قائمة المصادر

1) الصديق حاج أحمد، **رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع**، دار فضاءات، عمان–الأردن، ط1، 2016.

ثانيا: قائمة المراجع

- **الكتب**

1) أحمد بن محمد بن حنبل، **المسند**، دار الحديث، القاهرة، 2006، ج8.

2) إرنست ماير، **هذا هو علم البيولوجيا**، ترجمة: عفيفي محمود عفيفي، مطابع السياسة، الكويت، 2002، د.ط.

3) إسماعيل محمد الزيود، **علم الاجتماع**، دار الكنوز المعرفة للنشر، عمان، 2010.

4) أنور الجندي، **الثقافة العربية المعاصرة، في معارك التغريب والشعوبية**، مطبعة الرسالة للنشر، 25 أبريل 2014، د. ب.

5) ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي)، **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تر:** عبد الوهاب التازي، الرباط–المملكة المغربية، 1997، مج2.

6) بيرتي ج بيلتو، **دراسة الأنتربولوجيا المفهوم والتاريخ**، ترجمة: كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، بغدادّ، ط1، 2010.

7) جميل حمداوي، **الأنتربولوجيا والإثنولوجيا والإثنوغرافيا**، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور، تطوان–المملكة المغربية، ط1، 2020.

8) جورج بلانديه، **الأنتروبولوجيا السياسية**، ترجمة: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ–2007م.

9) جيمس فريزر، الغصن الذهبي نقلا عن أحمد بن نعمان، **سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتروبولوجيا النفسية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1988.

10) حسن السيد عز الدين بحر العلوم، **الأصول المشتركة للأديان**، شركة العارف للأعمال، ش.م.م، بيروت–لبنان، ط1، 2013.

11) حسين عبد المجيد، أحمد رشوان، **الأنتروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، المكتب الجامعي الحديث، الأزراطية، الإسكندرية، (د.ط)، 2003.

12) حسين فهيم، **قصة الأنتروبولوجيا، سلسلة كتب ثقافية شهيرة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1978.

13) ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد الخضرمي الإشبيلي)، **رحلة ابن خلدون**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 2004.

14) عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق–سوريا، (د.ط)، 2004.

15) فاروق مصطفى إسماعيل، **الأنتروبولوجيا الثقافية**، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980، د. ط.

16) كلود ريفيير، **الأنتربولوجيا الاجتماعية للأديان**، ترجمة: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، شارع الجبلاية بالأوبرا، الجزيرة–القاهرة، ط1، 2015.

17) عبد الحميد لطفي، **علم الاجتماع**، دار النهضة العربية، بيروت، 1965، نقلا عن: إسماعيل الزيود، دار الكنوز المعرفة للنشر، عمان، 2010.

18) محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنتربولوجيا، د. ن، القاهرة–مصر، 2008.

19) محمد بن عبد الله دراز، **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، المطبعة العالمية، 01 يناير، 2017، (د.ب).

20) محمد موسى، **الحضارة دراسة في أصول عوامل قيامها وتدهورها**، عالم المعرفة، كانون الثاني، الكويت، 1978.

21) مركز نون للتأليف والترجمة، **مدخل إلى علم الفلسفة**، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت–لبنان، 2010.

22) مصطفى تيلوين، **مدخل عام في الأنتربولوجيا**، دار الفرابي، بيروت–لبنان، ط1، 2011.

23) ولترودني، **أوروبا والتخلف في إفريقيا**، تر: أحمد قصير، مراجعة: إبراهيم عثمان، عالم المعرفة، الكويت، 1990.

24) يوسف روكز، **إفريقيا السوداء سياسة وحضارة**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986.

- **الرسائل الجامعية:**

1) خضر محمد أبو جحجوح، **البنية الفنية في شعر كمال أحمد غنيم**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية غزة، 2010م/1431هـ.

- **المجلات:**

1) عبد الرحيم بوشاقور، حبيب بوسعادي، **الطقوس الدينية الإفريقية في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع–قراءة لسانية أنتروبولوجية**، مجلة أنتروبولوجيا الأديان، جامعة تلمسان، الجزائر. مجلد16، العدد02، 2020/06/15.

2) فتيحة بلحاجي، فاطمة صغير، **التراث الأسطوري والممارسات الطقوسية في الصحراء: مقاربة أنتربولوجية**، مجلة أنتربولوجية الأديان، العدد2، المجلد16، جامعة بلقايد، تلمسان، كلية الأداب واللغات، 2020/06/30.

- **القواميس:**

1) مصطفى شاكر سليم، **قاموس الأنتربولوجيا**، جامعة الكويت، (ط1)، 1981.

- **المحاضرات**

1) سهام بودروعة، **محاضرات في التحليل الأنتربولوجي للأدب**، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر–دراسات أدبية–، كلية الآداب، جامعة 08 ماي1945، قالمة، الموسم الجامعي 2018–2019.

2) عبد العزيز خواجة بن محمد، **محاضرات في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، مطبوعة بيداغوجية موجهة إلى طلبة العلوم الاجتماعية والإنسانية، غرداية–الجزائر، (د.ط)، 2014–2015.

3) ليندة عبد اللاوي، **محاضرات في ميادين الأنتربولوجيا**، مطبوعة بيداغوجية موجهة إلى طلبة سنة ثانية LMD أنتربولوجيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان.

- **المراجع الأجنبية**

1) Delayet pichot, **Abrégé de psychologie**, Masson, 1980.

2) Jeancopans l'enquêt et hnologique de terrain, paris, Nathan, 1998.

- **المواقع الإلكتروني:**

1) إيمان الحياري، **علاقة الأنتربولوجيا بعلم النفس**، 4 ماي 2017، رابط الموقع: com.3https://mawdoo تم الاطلاع عليه في 26 فيفري 2023 على الساعة6.30.

2) الروائي الصديق حاج أحمد في حديث لـ "أشرعة"، جريدة الوطن https://alwatan.com، ماي 2016، 12.32، عمان.

3) أبو بكر بن أحمد باقادر، **الدين والأنتربولوجيا**، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 24 ديسمبر 2014، رابط الموقع: . https://www.mominoun.com تم الاطلاع عليه في 02/26/ 2023 على الساعة 10:30.

4) شريهان حوامدة، **الأنتربولوجيا وعلاقتها بعلم الفلسفة**، 27 أكتوبر 2020، رابط الموقع: http://e3arabi.com تم الاطلاع عليه في 26 فيفري 2023 على الساعة 23:30.

الملاحق

أولا: نبذة عن الروائي الصديق حاج أحمد

(الصديق حاج أحمد) المعروف بـــ **(الزيواني)** ولد بأدرار–الجزائر في 19 ديسمبر (1967)، نشأ بالوسط القصوري الطيني الواحاتي بالصحراء الجزائرية بمسقط رأسه زاوية الشيخ المغيلي بولاية أدرار، تلقى تعليمه القرآني بداية بكتاب "**القصر**" على يد شيخه الحاج **(أحمد لحسين الدمراوي)** وتدرج في التعليم النظامي، حيث تحصل على البكالوريا، والليسانس، والماجستير، والدكتوراه، يشتغل كأستاذ محاضر لمقياسي "**اللسانيات**" و "**فقه اللغة**" بجامعة أدرار، أشرف على عدة مهام بالجامعة منها "**نائب عميد كلية والآداب واللغات**" لمدة سنتين ليتفرغ بعدها للتدريس، والبحث، والإبداع، مشارك دائم بالصحافة الجزائرية المكتوبة، كما له مساهمات دائمة كذلك بالصحافة العربية لا سيما "**جريدة العرب**" اللندنية و"**مجلة الجديد**" اللندنية، أصدر أول رواية له عام (2013) تحت اسم "**مملكة الزيوان**".

- **النتاج الروائي:**
  - مملكة الزيوان، 2013.
  - كامارد–رفيق الحيف والضياع، 2015.
- **النتاجات الأخرى:**
  - التاريخ الثقافي لإقليم توات، 2003.
  - الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، 2009.
- **نقد ودراسات عن الروائي:**
  - رواية كامارد–عن المأساة العبور وخيبة الوصول للآخر، عبد القادر رابحي، جريدة (النصر) الجزائرية.
  - كتاب بعنوان "**شعرية الفضاء الصحراوي**" في رواية "**مملكة الزيوان**"، فاطمة قاسمي، 2015.

- جمالية المتخيل الأنثروبولوجي في رواية مملكة الزيوان، عبد القادر ضـــيف الله، جريدة (الحياة الجزائر).

ثانيا: ملخص الرواية

رواية "**كاماراد رفيق الحيف والضياع**"، الصادرة عن دار فضاءات الأردنية، الطبعة الأولى 2015، للروائي **(حاج أحمد الصديق)** الملقب **(بالزيواني)**.

تحكي رواية "**كاماراد**" عوالم الهجرة السرية أو ما يطلق عليها بالحرGة نحو الفردوس الأوروبي، وتدور أحداثها حول شخصية نيجيرية محورية تدعى **(مامادو)** تنطلق في رحلتها من عاصمة النيجر نيامي وبالضبط من حي Gام كلي الفقير الذي يجمع فيه الشباب على الهجرة فيقامرون بمصادر أرزاقهم وينطلقون نحو البرية الوعرة، فيصور **(مامادو)** طريق الهجرة موضعا وهم سالكين أصعب الظروف عبر الصحراء الكبرى مع مهربي البشر إلى غاية وصولهم السياج.

تبدأ الرواية بصوت خفي من "**مهرجان كان السنيمائي الدولي**" سنة (2012) بسرد خيبة المخرج الفرنسي **(جاك بلوز)** الذي يفشل في الحصول على السعفة الذهبية، فيقرر التفكير في مشروع مختلف قد يزيد من حظوظه في المستقبل للظفر بالجائزة، لهذا بحث عن موضوع من مواضيع الساعة، وهو الهجرة السرية وتحديدا هجرة الأفارقة من بلدانهم الفقيرة نحو أوروبا جاعلا من هذا الموضوع فيلما ينافس به، وهذا ما جعله يسافر للنيجر بغرض رصد الأجواء العامة للمجتمع الإفريقي وقد حالفه الحظ في يومه الأول بالتقائه بالحراق النيجيري **(مامادو)** الذي كان قد عاد قبل يوم فقط من رحلته الفاشلة للفردوس، بعد اخفاقه في اجتياز سياج مدينة سبتة، ليعرض عليه مكافئة قيمة مقابل لو أنه يحكي له قصة رحلته نحو الفردوس الأوربي، أطلق الروائي على هذا الفصل اسم " **Gيتار الصدفة**" ونجد أن **(مامادو)** قد قسم رحلته إلى عدة فصول وفق أهوال القيامة وأطلق على كل فصل اسم معين وهي كالآتي:

- "**في القبر**": وهي مرحلة تصف فقره والظروف السيئة التي يعيشها في حيه الشعبي بنيامي عاصمة النيجر.
- "**البعث**": مرحلة مجيء فكرة الخلاص (الهجرة).
- "**النفخ في الصور**": وهي فترة اقناع أمه ببيع بقرة العائلة التي تعتبر المورد الأساسي المعيل لأسرته لتغطية نفقات السفر، كما تحدث عن تحضيرات الرفاق للاستعداد لهذه الرحلة.
- "**المحشر**": مرحلة خروج الرفاق ووداعهم متجهين نحو مدينة "**إدز**"، ثم مدينة "**أراليت**" أين سيلتقوا بالطوارق المهربين لنقلهم نحو جنوب الجزائر.
- "**على الصراط**": المرحلة التي قطعها مع المهربين بالصحراء الكبرى، وتحدث فيها عما واجهه من مصاعب أثناء هذه الرحلة المميتة.
- "**الرجة الكبرى**": وهي آخر مرحلة وصل إليها الرفاق، تمكنوا فيها من تخطي الحواجز الفاصلة بين إفريقيا وأوروبا.

(مامادو) شخصية نيجيرية محورية يعيش بحي" **Gمكلي**" الذي يعد من أفقر الأحياء بالعاصمة، رفقة أمه **(سلاماتو)** وأخته **(زينابو)** بعدما توفي والده، قرر الهجرة مع رفاقه هروبا من الواقع المرير الذي يعيشه اعتقادا أنه سيلقى الحياة التي يحلم بها في إحدى الدول الأوروبية، في البداية استصعب أمر تركه لأمه وأخته اللتان لطالما اعتبرتاه رجل البيت، لكنه في النهاية اختار الذهاب مع الرفاق .

تنطلق رحلته من النيجر بنامي بجواز سفر مزور، رحلة مليئة بالضياع، الحيف، والعذاب، مع سماسرة تهريب البشر مع ما يشترط فيه هؤلاء من أثمان باهظة بلا شفقة على السلعة البشرية المهربة لقطع الصحراء الكبرى وصولا للجارة الشمالية، عند وصوله إلى أرض الجزائر ينتحل **(مامادو)** هوية أخرى مسيحية **(كوليبالي)** لتسهل عليه العبور من تمنراست إلى توات ثم مغنية وصولا إلى الحدود المغربية بالحافلات ومشيا على الأقدام أثناء التسلل بين حدودهما بعيدا عن عيون حرس الحدود، ليصل إلى مدينة الفنيدق نحو سبتة الإسبانية لعبور

سياج شائك الذي كان طوله حوالي 9 أمتار للوصول إلى جنة الأحلام في ليلة أعياد الميلاد، ليسقط أخيرا في يد الحرس المغربي وتتلاشى كل الأماني وتنتهي الرواية بعودة **(مامادو)** إلى حيه "Gمكلي" في النيجر.

وفي الأخير حاول الروائي أن يقدم حلولا لهجرة غير شرعية للأفارقة عن طريق منح المخرج لـ **(مامادو)** كاميرا وداكتيفون وتشجيعه على إخراج فيلم عن الفقر في بلده، بعد اتمام **(مامادو)** للفيلم روج له المخرج من خلال منشور على صفحته الفيسبوكية:

"أيها الشمال القانط من الجنس الكامارادي الزاحف...

أيها الجنوب العربي، المتذمر من عبور شعب ليكاماراد...

لا محل لنا من أخطبوط الهجرة... ألا يخلق فرص نشاط، تثبت هؤلاء الأفارقة المتعبين بخيبات الحياة وانكساراتها ببلدانهم...

لن ولن نوقف هذا التدفق المريب، إلا بفعل ذلك"[1].

الهدف من هذه النهاية التي وضعها **(الزيواني)** هو أن الخير تجده في بلادك وبين شعبك وبإمكانك تحقيق حلمك وسط أهلك وشعبك.

[1] الصديق حاج أحمد، **الرواية**، ص 362.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات:

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة.....01

الفصل الأول: إيضاحات عامة حول الأنثروبولوجيا

أولا: مفهوم الأنثروبولوجيا.....07

ثانيا: نشأة الأنثروبولوجيا.....09

1) الأنثروبولوجيا في العصر القديم.....09

1.1. عند الإغريق (اليونانيين القدماء) 09

2.1. عند الرومان.....11

3.1. عند الصينيين القدماء.....12

2) الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى.....12

1.2. العصور الوسطى في أوروبا.....12

2.2. العصور الوسطى عن العرب.....13

3.2. عصر النهضة الأوروبية.....16

ثالثا: علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى.....19

1) علاقة الأنثروبولوجيا بالبيولوجيا.....20

2) علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس.....21

3) علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع.....24

4) علاقة الأنثروبولوجيا بالدين.....26

5) علاقة الأنثروبولوجيا بالأثنوغرافيا.....28

6) علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة.....30

رابعا: علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب.....32

الفصل الثاني: تجليات الأنثروبولوجية في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع

أولا: تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع.....37

1) اللباس والزينة.....38

1.1. اللباس.....38

1.1.1. اللثام.....42

2.1. الزينة.....46

1.2.1. القرط.....46

2.2.1. الوشم.....47

2) الأكل واالشرب.....48

1.2. الأكل.....48

1.1.2. كسرة التاقلة.....50

2.2. الشرب.....53

1.2.2. الشاي.....53

2.2.2. شراب Gورو Gورو.....55

3) الرقص والغناء.....56

1.3. الغناء.....56

2.3. الرقص.....57

ثانيا: تجليات الأنثروبولوجيا الدينية في الرواية.....60

1) شعيرة الصلاة.....60

2) خاصية التبرك والصلاة على النبي.....62

3) الإغراق في تقديس الأساطير والمرويات الغرائبية.....62

4) استعمال التمائم والحروز.....64

5) الدعاء.....65

6) التذبذب في العبادة.....66

ثالثا: تجليات الأنثروبولوجيا الاجتماعية.....67

1) نظام القرابة.....68

1.1. تعظيمهم للجد.....69

2.1. الأم.....70

2) العلاقات الاجتماعية.....71

1.2. الصداقة.....71

3) المظاهر الاجتماعية.....72

1.3.المخدرات.....72

1.1.3. مخدرات طبيعية.....72

2.1.3. مخدرات تقليدية.....73

2.3. البناء الفوضوي 73

3.3. السخرة والاستعباد.....73

4.3. تجارة الموت.....74

5.3. الدعارة 75

رابعا: تجليات الأنثروبولوجيا السياسية في الرواية.....77

1) جرائم الاستعمار.....77
2) تغافل السلطة.....79
3) ظاهرة التزوير.....79
4) السمسرة والرشوة.....80
خامسا: تجليات الأنثروبولوجيا اللغوية.....83
خاتمة.....89
قائمة المصادر والمراجع.....92
الملاحق.....98
فهرس المحتويات.....103
ملخص.....108

الملخص

ملخص الدراسة:

تتناول الدراسة موضوعا مهما يعكس الظواهر الاجتماعية، الثقافية، والدينية للإنسان الإفريقي، يتجسد ذلك من خلال شخصيات رواية "**كاماراد رفيق الحيف والضياع**" لـ **(جاح أحمد الصديق)**، وذلك بالاعتماد على المنهج الأنتروبولوجي.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، فصل نظري، فصل تطبيقي، وخاتمة، حيث أشرنا في **المقدمة** إلى الأسباب التي جعلتنا نختار هذه الدراسة.

أما **الفصل النظري** كان بعنوان إيضاحات حول الأنتروبولوجيا من حيث المفهوم، النشأة، وعلاقتها بالعلوم الأخرى، أما **الفصل التطبيقي** فكان عبارة عن مقاربة أنتروبولوجية في المضامين الاجتماعية والثقافية من عادات، تقاليد، ومعتقدات شعبية، كما تطرقنا كذلك إلى المضامين الدينية واللغوية.

و**الخاتمة** كانت عبارة عن أهم النتائج التي توصلنا إليها.

Study summary:

The study deals with in important topic wiche reflects the social cultural and religious phenomenon of the African man , and this is concerned though the personalites of the norirl " **kamarad of novat is hadj Ahmed sadik** " and this is by taking into consideration the anthropological approach.

And this studey has been devided into an introduction a thionic part and two particical part and a conclusion we have shown in the introduction the reanns of chaning this noviel where in the theoretic part ganerd chan ficatuis about anthropology between the social and cultural meaning of the traditional and habit and 2ed partical side was an anthropological approch in the religious and linguistic contents .

The conclusion was about the important result we got.

Résumé de l'étude:

L'etude traitre d'un sujet important qui reflète les phénomènes sociaux, culturels et religieux peuple Africain, tel qu'il étê incarné a travers les personnages du roman " **kamarad** " **de hadj Ahmed sadik**, basé sur l'approche anthropologique .

Cette étude q été divisée en une introduction, un un chapitre théorique, deux chapitre d'application et une conclusion, ou nous avons indiqué dans l'introduction aux raisons qui nous ont fait choisir ce roman quant au chapitre théorique, ils s'agissait de de clarification générals sur l'anthropologie en termes de concept et d'origine, quant au premier chapitre appliqué, il s'agissait d'une approche anthropologique du contenu social et culturel des contunes, des traditions et des croyances populaires tandis que la deuxième chapitre appliqué était une approche anthropologique du contenu religieux et linguistique.

Et la conclusion portait sur les résultats les plus importants que nous ayons atteints.